الجمهوريـــة الجزائريـة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليـم العـالي والبحـث العلمـــي
جامعة الشاذلي بن جديد –الطارف-

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

دور الفيلم الوثائقي القصير في حفظ التراث الشعبي الجزائري

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر

الميدان: اللغة والأدب العربي
الشعبة: الأدبية
التخصص: أدب شعبي

إعداد الطالبتين:
آسيا بن صغير
- سميرة جدايدي

إشراف الدكتورة:
وناسة كحيلي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
مبروكة حولي	أستاذ محاضر (أ)	رئيســـــــا
وناسة كحيلي	أستاذ محاضر (أ)	مشرفا ومقـررا
بريزة بهلول	أستاذ محاضر (أ)	عضـوا مناقشا

السنة الجامعية 2023-2024

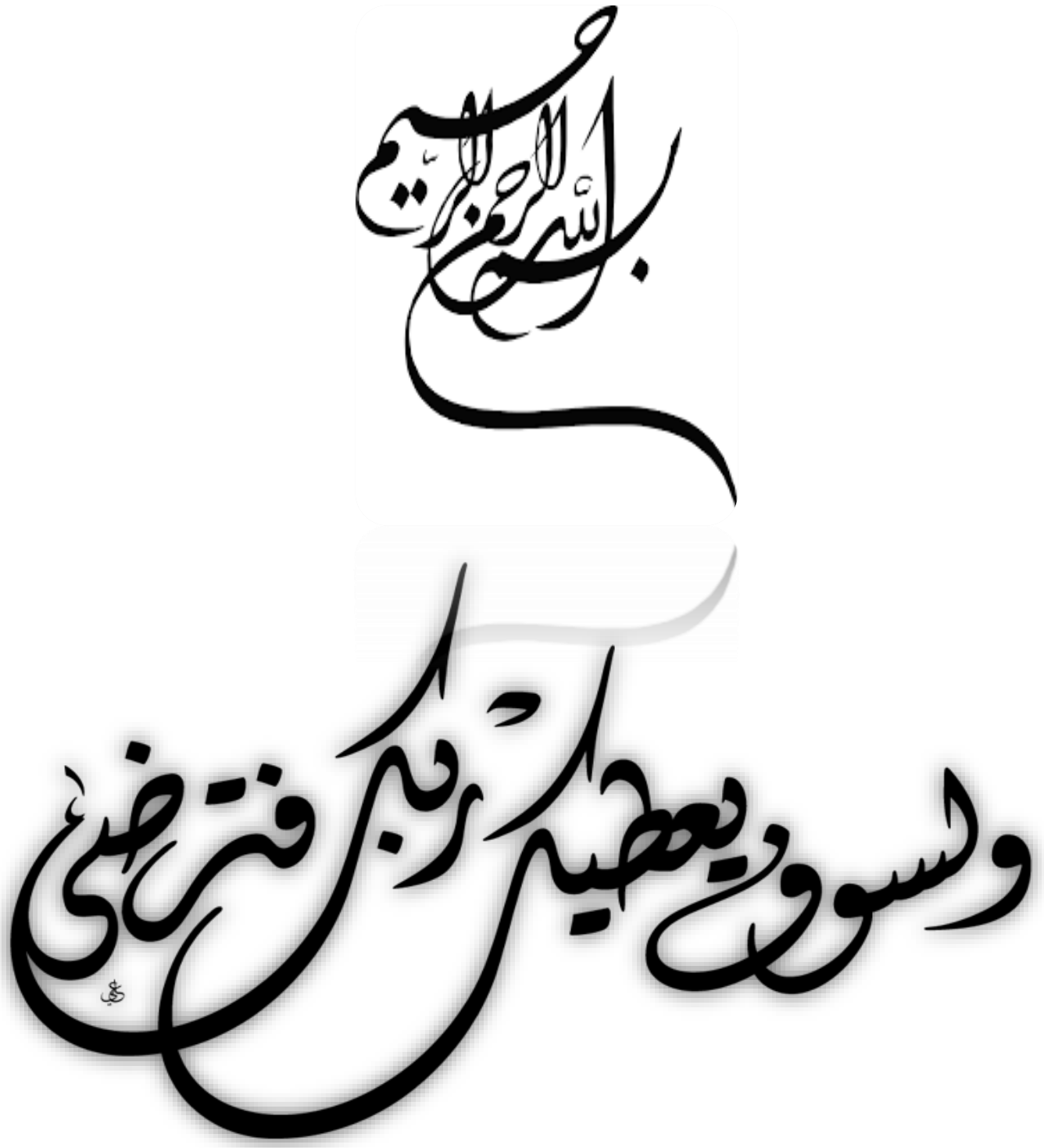
بسم الله الرحمن الرحيم
ولسوف يعطيك ربك فترضى

إهداء

الحمد لله، الحمد لله الذي بفضله ومنّه وكرمه يَسَّر البدايات وأكمل النهايات وبلّغنا الغايات.

إنها لحظة من أجمل اللحظات، طالما انتظرتها، وسعيت لتحقيقها بشغف وشوق بجد وعمل، بسهر وتعب لحظة تخرجي

هي جوهرة ثمينة ولؤلؤة قيمة ساعد في إخراجها إلى النور ثُلّة من أقرب الناس إلى قلبي، ممّن كانوا شموعا تضيء دربي وأيادٍ تدفعني نحو المستقبل.

أهديها إلى من وهباني الحياة والأمل، وعلّماني الارتقاء في سلّم الحياة بالعلم والصبر والعمل:

أبي الغالي نور العين وضياء القلب والنبع الذي لا ينضب حبا وحنانا وعطاءً.

أمي الحبيبة التي سميتها غايتي وتحت قدميها جنتي، وحبها سرّ الوجود، التي أحاطتني بعطائها ودعمها ودعائها اللامحدود.

إخوتي الأعزاء : هشام ، نجيب ، حمزة ، وضياء

سندي الدائم وعزّي واعتزازي وملهمي

وداعمي بلا حدود من أجل تحقيق أحلامي

"زوجي الغالي "محمد".

أهديها بشكل خاص إلى نبض القلب ونور العين،

أزهار حياتي وأسباب فرحتي وأنسي وسروري:

ابني عبد الرحمان وابنتي فاطمة الزهراء.

صديقة العمر والمواقف ورفيقة الدرب،

إلى من شاركتني لحظات فرحتي وحزني

وتفوقي ونجاحي على مدى سنوات طوال،

صديقتي العزيزة "سميرة".

إهداء

﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى،أما بعد:

إلى أعز وأغلى الناس وأقربهم إلى قلبي

والديّ الكريمان

حفظهما الله وأدامهما نبراسا لدربي

إلى أحباء قلبي وسندي وعزوتي أخوتي وأخواتي

إلى من ساندني ومنحني القوة والعزيمة وكان سببا في مواصلة دراستي

شريك عمري زوجي الحبيب "طلال"

إلى فلذات كبدي وزهراتي

شيماء وأماني ومريم بناتي الأميرات

إلى صديقة العمر ورفيقتي في مسيرة الحياة،

إلى من كانفتني ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح

صديقتي الغالية آسيا

إلى كل من ساعدني

وكان له دور في إتمام هذه الدراسة

إلى كل هؤلاء أهديهم هذا العمل

سميرة

شكر وعرفان

أول الشكر والتقدير والحمد والتبجيل لله الواحد الأحد الكريم المعين، الذي أكرمنا بإتمام دراستنا بعد سنوات طوال من الانقطاع، والذي أعاننا بفضله وأنار دربنا، وفتح بصيرتنا لاختيار هذا الموضوع والعمل عليه بكل حب وتفانٍ فله الشكر والحمد عدد خلقه ومداد كلماته.

وعملا بقول رسوله الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم "من لا يشكر الناس لا يشكر الله" – رواه الترميذي– نتقدم بأسمى عبارات الشكر والثناء للأستاذة المشرفة الدكتورة "كحيلي وناسة"، عرفانا منا بالمجهودات المبذولة من طرفها في سبيل إنجازنا لهذا العمل. وتقديرا لما قدّمته من نصائح وتوجيهات قيّمة، ونسأل الله تعالى أن يسدّد خطاها ويحقق مناها، فجزاها الله عنا كل خير.

كما نتوجّه كذلك بالشكر والتقدير والاحترام لأعضاء اللجنة المناقشة الدكتورتين: حولي مبروكة وبهلول بريزة.

مقدمة

يعدّ التراث عنوان الشعوب العريقة لاعتزازها بماضيها وتفاخرها بحضارتها القديمة وأمجادها الغابرة، فهو جزء لا يتجزأ من كيان الأمة، ومقوما من مقومات شخصيتها وهو التيمة التي تمنح لكل شعب هويته التي تجعله فريدا عن غيره من الشعوب.

فالتراث هو تلك الوثيقة التاريخية التي تحمل بين صفحاتها حكايات حضارات توالت وحكايات شعوب أبدعت، وهو في الوقت نفسه ذلك الإطار التاريخي الذي تنطلق منه حضارة أي شعب من الشعوب باعتباره حلقة وصل بين الماضي والحاضر، فله أهمية كبرى على صعيد الحياة الاجتماعية والفنية والعلمية والتربوية والاقتصادية، لذلك نرى في الآونة الأخيرة تظافر جهود الدول نحو الحفاظ عليه واستغلاله وذلك من خلال حفظه وتدوينه بطرق مبتكرة والتي تعتمد بالدرجة الأولى على الرقمنة، ومن بين هذه الوسائل نجد الفيلم الوثائقي القصير الذي لعب دورا مهما في الحفاظ على التراث كونه يعبر عن الهوية، بالإضافة إلى الأدوار التي يقوم بها من إعلام وتسجيل وتعليم وترسيخ ونقل ونشر لهذا التراث الشعبي إضافة إلى الدور الدعائي الترويجي له.

وعلى ضوء ما سبق ارتأينا أن يكون بحثنا موسوما بـ "دور الفيلم الوثائقي القصير في حفظ التراث الشعبي الجزائري –دراسة وصفية استقصائية–".

ولعلّ أبرز الدوافع لاختيارنا لهذا الموضوع تكمن فيما يلي:

– ميلنا إلى عالم البحث في ثنايا التراث وشغفنا بهذا المجال، ورغبتنا في تبيان أن التراث مادة خام تستغلها الدول لتسيير شؤونها المتنوعة، وأنها وجب الحفاظ عليه بطرق ناجعة وفعالة مواكبة لتطورات العصر.

– حرصنا على التعريف بأبرز الطرق العصرية لحفظ التراث الشعبي وحمايته وتوثيقه لأنه يحمل خصوصيات الشعوب وفكرها وإبداعاتها.

وقد انطلقت هذه الدراسة من طرح الإشكال الرئيسي الآتي:

ما هو دور الفيلم الوثائقي القصير في الحفاظ على التراث الشعبي الجزائري وحمايته؟

لتتدرّج تحت هذه الإشكالية عدّة تساؤلات فرعية كانت كالآتي:

- ما هو التراث؟ وما هي أنواعه وأقسامه؟
- ما هو التوثيق؟ وما هي أهم أنواعه؟
- ماذا نقصد بالفيلم الوثائقي القصير؟ وما هي خصائصه، وأنواعه، وكذا وظائفه؟
- إلى أيّ مدى وفّقت الأفلام الوثائقية في حفظ تراث الجزائر الشعبي والتعريف به؟

وانطلاقا من التساؤلات سالفة الذكر هيكلت المذكرة بالشكل الآتي:

مقدمة، مدخل، فصلين الأول نظري، والثاني تطبيقي وخاتمة .

أما بالنسبة للمدخل المعنون بـ "التراث مقاربة مفهوماتية" فقد تضمن تعريفا للتراث لغة واصطلاحا، وأهم أنواعه وأقسامه.

أما الفصل الأول والذي كان تحت عنوان "التوثيق والفيلم الوثائقي تحديدات اصطلاحية"، فقد احتوى على مفهوم التوثيق لغة واصطلاحا وكذا أنواعه، إضافة إلى تحديد مفهوم الفيلم الوثائقي لغة واصطلاحا مع تحديد أنواعه وخصائصه ووظائفه.

وكذا الفصل الثاني معنونا بـ "الفيلم الوثائقي القصير ودوره في حفظ التراث الشعبي الجزائري"، لنقف في هذا الفصل على أهم الإسهامات التي قام بها الفيلم الوثائقي القصير في حفظ هذا التراث وصونه من الضياع، وكذا ضمان استمراريته للأجيال القادمة حتى يكون لهم مرجعا يستقون منه شؤونهم.

وجاءت الخاتمة حوصلة لأهم ما جاء في هذا العمل وإجابة عمّا ورد من تساؤلات متبوعة بقائمة المصادر والمراجع،ثم فهرس للموضوعات.

ولتحرير هذه المذكرة اعتمدنا على مجموعة من المراجع والمصادر أهمها:

- لسان العرب لابن منظور.
- الموروث الشعبي لفاروق خورشيد.
- الفولكلور ما هو؟ لفوزي العنتيل.
- البحث الميداني في التراث الشعبي لمحمود مفلح البكر.
- الفيلم الوثائقي القصير –مقدمة قصيرة جدا– لباتريشيا أوفدر هايدي.
- الأفلام الوثائقية لنهلة عيسى.
- التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم حسن حنفي
- التراث والحداثة محمد الجابري
- أفلام وثائقية قصيرة من التلفزيون الجزائري وقنوات خاصة جزائرية إضافة إلى أفلام وثائقية قصيرة من قناة الجزيرة الوثائقية.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا المنهج الوصفي الاستقصائي القائم على تتبع الظاهرة، والمعتمد بالدرجة الأولى على آليتي الوصف والتحليل.

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتنا فهي: ضيق الوقت ، قلّة الدراسات الأكاديمية الجادة التي تطرقت لهذه الأفلام الوثائقية في مجال التراث، إضافة إلى قلة المصادر المتمثلة في الأفلام الوثائقية المهتمة بالتراث الجزائري بشقيه المادي واللامادي.

لكن رغم هذه الصعوبات وفقنا الله عزّ وجلّ في إتمام المذكرة، وفي الأخير نتقدّم بجزيل الشكر للدكتورة المشرفة "**كحيلي وناسة**"، لما قدّمته لنا من نصائح وتوجيهات، كما نقدّم شكرنا مسبقا للجنة المناقشة، وأملنا في الأخير أن ننفع بما اكتسبنا، وأن تكون هذه المذكرة نبراسا منيرا ينير دروب قارئيها من بعدنا.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وصلّ اللهم وسلّم على سيّدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدخل

التراث مقاربة مفهوماتية

تقديم:

يعتقد الكثيرون أن مدلول كلمة "التراث" يقتصر على كلّ ما هو موروث وبال أو أنه تلك الغرائب الأثرية وبقايا الأشياء القديمة، لكن مدلوله عكس ذلك، فالتراث كيان حيّ يعبر عن ثقافة شعوب غابرة وعن عاداتهم وتقاليدهم وفكرهم، لذلك فتراث كل أمة هو مرآة عاكسة لهويتها وأصالتها ووجودها وكيانها، والتراث كلمة واسعة الدلالة، وجب الوقوف على مفهومها لمعرفة المقصود منه.

أولا: مفهوم التراث:

أ/ لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور «وَرَثَن الوَارِثُ: صفة من صفات الله عزّ وجلّ، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم، والله عزّ وجلّ يرث الأرض ومن عليها"[1].

ويقول ابن منظور أيضا "الوَرَث والوِرْثُ والإرث والوِراث والإراث والتراث واحد، والميراث أصله مُوراثٌ، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، والتراث والميراث: ما وُرِثَ وقيل الورث والميراث في المال والإرث في الحسب، وأورث ولده: لم يدخل أحدا معه في الميراث، هذه عن أبي زيد، وتوارثناه: ورثه بعضنا عن بعض قِدما»[(2)].

[1]- ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب بيروت، إعداد وتصنيف يوسف الخياط (مادة و-ر-ث) د.ط.ج 5 ، ص190

[2]- المرجع نفسه ، ص190.

وجاء في قاموس المعاني الجامع: «إرْثٌ اسم مصدر (وَرِثَ) والإرثُ بقيّة الشيء والإرثُ: الميراثُ؛ ما يتركه الميت من أثاث وعقار لورثته... والإرثُ: الأمر القديم توارثه الآخر عن الأول، وفي حديث الحج: حديث شريف (إنَّكُم على إرثٍ من إرْثِ أبِيكُمْ إبراهيم)»[1].

أما قاموس المحيط «الإرْثُ بالكَسْرِ: المِيراثُ والأصْلُ والأمر والقديم توارثه الآخر عن الأول، والرَّمَادُ والبقيّة من كُلِّ شَيءٍ»[2].

وعليه، فَجُلُّ هذه المعاجم اشتركت في وضع مفهوم واحد كلمة التراث على أنها الإرث وكل شيء متوارث من الآباء أي أنه التَّرِكَةُ سواء أكانت ماديّة أو معنوية.

التراث في القرآن الكريم:

التراث كلمة عربية فصيحة، بل هي مفردة قرآنية مُبينةٌ، ووردت في العديد من النصوص القرآنية كسورة الفجر في قوله تعالى: ﴿وتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وتُحِبُّونَ المالَ حُبًّا جَمًّا"﴾ [سورة الفجر الآية 09].

بمعنى أكل الميراث أكْلًا شديدا، وذلك أن في الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون حقهم وحق الضعيف، وفي هذه الآية الكريمة يُعيب الله تعالى عليهم.

وعليه، فالتراث هنا جاء بمعنى الميراث، وهذا المفهوم أيضا نجده في قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي ويَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا﴾ [سورة مريم الآية 06].

---

[1]– www.almaany.com

[2]– الفيروز أبادي:القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة، تحقيق أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، سنة الطبعة 1429هـ - 2008 م، ص 46.

فزكريا لم يكن يملك شيئا، فقد كان نجارا، فدعا الله أن يهبه ولدا يرث منه ومن آل يعقوب علما، وفي هذا الصدد يقول تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [سورة النمل الآية 16]. فسليمان ورث من داوود العلم، وهذا الأخير أوتي الملك مع النبوة والعلم.

أما كلمة ميراث فقد وردت في القرآن مرتين، في قوله تعالى "والله ميراثُ السَّمَواتِ والأَرْضِ «بمعنى أنه يرثُ كل شيء فيهما لا يبقى منه باقٍ لأحد من مال أو غيره»[1]

«أما في الفقه الإسلامي حيث عُني الفقهاءُ عناية كبيرة بطريقة توزيع تركة الميت على ورثته حسب ما قرره القرآن "باب الفرائض"، فإن الكلمة الشائعة والمتداولة لدى جميع الفقهاء فهي كلمة "الميراث"، بالإضافة طبعا إلى وَرِثَ – يَرِثُ – ورْثٌ – توريث – الوارِثُ – الوَرَثَةُ... إلخ»[2].

من خلال التعريفين (1) و(2) نلاحظ أن كلمة تراث في القرآن الكريم والفقه الإسلامي حملت معنى الميراث المادي والمعنوي.

ب/ اصطلاحا:

تعدّدت مفاهيم لفظة "التراث"، فقد حاول العديد من الباحثين ضبط مفهوم التراث بدقة، لتشكل لنا بذلك معان عديدة تبلورت من وجهات نظر مختلفة، لكنها تصبّ في قالب واحدٍ ألا وهو: كل ما ورثناه عن آبائنا وأجدادنا من أدب وفن في وعادات وتقاليد... إلخ.

---

[1]– محمد الجابري: التراث والحداثة –دراسات ومناقشات–، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، تموز/ يوليو 1991، ص22.

[2]– المرجع نفسه، ص22.

وقد جاء في تعريف منظمة اليونيسكو للتراث: «هو ما ينتقل من عادات وتقاليد وآداب وفنون وعمران ونحوها من جيل إلى جيل، بمعنى هو كل ما خلفته وورثته الأجيال السابقة للأجيال الحالية، ومن الناحية العلمية هو علم ثقافي قائم بذاته يختصّ بقطاع معين من الثقافة (الثقافة التقليدية أو الشعبية)، ويلقي الضوء عليها من زوايا تاريخية وجغرافية واجتماعية ونفسية، ويشتمل التراث الشعبي أيضا على الحرف بجميع أنواعها (الخزف، النحت، البناء)، وأنواع الرقص واللعب والأغاني والحكايات والأمثال السائرة والألغاز والأحاجي والمفاهيم الخرافية والاحتفالات والأعياد وهذا ما يمكن أن نقول عن تراث الأمة»[1].

وهذا معناه أن التراث هو كل شيء ورثناه عن الأجداد، كما أنه علم قائم بذاته لديه أهدافه وأعلامه، يختصّ بدراسة الثقافة التقليدية وأبعادها التاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية، والتراث يشمل كل تركة مادية أو لا مادية (معنوية).

وقد ورد في كتاب أثر التراث العربي في المسرح المصري المعاصر تعريف زكي نجيب محمود «التراث هو ما تصنعه أنت، فالتراث كتب وفنون وغير ذلك، من هذا الجسم المكتوب الموروث، لكنك ستقرأه لتستخرج منه ما تستطيع بوجهة النظر التي تريدها أنت دون أن يفرض نفسه عليك... أما من حيث أين التراث فهو في المكتبات، ولك أن تقرأ منه الجانب الذي تريده...»[2].

---

[1]- علي شطّي: التراث الثقافي المادي وغير المادي لمدينة المغير، دار ومضة للشر والتوزيع والترجمة، جيجل، الجزائر، ج01، ص13.

[2]- سيد علي إسماعيل: أثر التراث العربي في المسرح المصري المعاصر، بمؤسسة هنداوي سي أي سي القاهرة، د.ط، 2017، ص38.

أما الدكتور حسن حنفي فيرى أن التراث «هو المنقول إلينا أولا، والمفهوم لنا ثانيا، والموجه لسلوكنا ثالثا. ثلاث حلقات يتحول فيها التراث المكتوب إلى تراث حي، يقوم بالحلقة الأولى الشعور التاريخي وبالحلقة الثانية الشعور التأملي، وبالحلقة الثالثة الشعور العملي»[1].

فمن خلال التعريفين يتبين لنا أن التراث كل شيء توارثناه من أسلافنا وأجدادنا، يحمل بين طياته قيما ومعارفا موجهة لسلوكاتنا، من خلال النظر إليه بصورة معاصرة يكتسب من خلالها دلالات جديدة تعبر عن الواقع.

ويعرفه سيد علي إسماعيل «التراث هو ذلك المخزون الثقافي المتنوع والمتوارث من قبل الآباء والأجداد والمشتمل على القيم الدينية والتاريخية والحضارية والشعبية بما فيها من عادات وتقاليد سواء كانت هذه القيم مدونة في كتب التراث العتيقة أو مبثوثة بين سطورها أو متوارثة أو مكتسبة بمرور الزمن»[2].

بمعنى أن التراث هو تلك التركة أو الميراث الثقافي المتنوع والمتمثل في تلك القيم الدينية والثقافية والعادات والتقاليد والمباني والآثار القديمة، والمتوارثة عن الأجداد أو المكتسبة عن طريق الممارسة، أو المحفوظة في الذاكرة الشعبية إما مشافهة أو كتابة.

ليوضح لنا سيد علي إسماعيل التراث أكثر فيقول «وبعبارة أكثر وضوحا: أن التراث هو روح الماضي وروح الحاضر وروح المستقبل بالنسبة للإنسان الذي يحيا به، تموت شخصيته

[1]- سيد علي إسماعيل: مرجع سابق، ص38.

[2]- المرجع نفسه، ص38.

وهويته إذا ابتعد عنه أو فقده، لذلك يرى الإنسان العربي بصفة خاصة، يتمسك بتراثه بصورة أو بأخرى سواءً في أقواله أو أفعاله»[1].

نستنتج مما سبق أن التراث كائن حي لا يمكنه سجنه في فترة معينة، فهو حاضر في جميع الأزمنة؛ الماضي والحاضر، والمستقبل، ليعبّر عن الواقع المعاش، فالتراث حسب تعريف الكاتب هو هوية الإنسان ودليل أصالته، فإذا ابعد عنه اضمحلّ وذاب في ثقافات أخرى.

ويعرفه رمضان الصباغ «التراث هو الموروث الثقافي والديني والفكري والأدبي والفني، وكل ما يتّصل بالحضارة أو الثقافة، وتراثنا هو الموروث عن السلف سواء كانوا ممن يقطنون نفس المنطقة أو غيرها، أي أن تراثنا هو الموروث في كل أنحاء العالم، القصص والحكايات والكتابات وتاريخ الأشخاص وما ظهر من قيم، وما عبّر عن هذه جميعا من عادات أو تقاليد وطقوس»[2].

وقد ذهب رمضان الصباغ إلى أن تراث الفرد لا يشترط أن يكون ذلك الموروث الثقافي والديني والفكري والأدبي والفني، الخاص بمنطقة معينة، أي أن التراث هو كل ما توارثناه من هذا العالم من شماله وجنوبه، من شرقه وغربه، وهذا ما أكّده في السطور التالية حيث يقول: "كما أن تراثنا هو ما ورثناه من كل الأجيال السابقة منذ العصور القديمة في مصر والصين، مرورا باليونان والمسيحية والإسلام حتى عصرنا الحاضر، كل هذا يشكل تراثا

[1]- سيد علي إسماعيل: مرجع السابق، ص38 – 39.

[2]- رمضان الصباغ: في نقد الشعر العربي المعاصر –دراسة جمالية–، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2002، ص368.

حيًّا لنا، قد يكون هذا الجانب أقرب إلى نفوسنا من ذاك أو العكس، إلا أن هذا لا ينفي أنه تُراثنا جميعُهُ"[1].

ويقول عبد السلام هارون: «التراث هو الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة، فوصلت إلينا، وليس هناك حدود معينة لتاريخ أي تراث كان، فكل ما خلفه المؤلف بعد حياته من إنتاج يعد تراثا فكريا، ولقد أصبح شعر شوقي وحافظ، وحديث عيسى بن هشام وآثار العقاد والمازني تراثا له حرمته التاريخية، وله مقداره الأثري»[(2)].

تطرّق عبد السلام هارون في تعريفه إلى نقلة مفادها أن التراث لا يرتبط بزمن محدّد أو فترة زمنية محدّدة، بل هو مرتبط بمخلفات الشخص بعد وفاته ، حتى وإن كان حديث العهد، فالتراث لا يشترط فيه القدم حسب قول عبد السلام هارون وقد أعطانا أمثلة عن أدباء وكُتَّاب عرب محدثين أصبحت آثارهم الثقافية والأدبية تراثا بعد وفاتهم.

ويعرف عبد النور جبور التراث (patrimoine) «أنه ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والإنساني والسياسي والتاريخي والخلقي ويوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه»[(3)].

---

[1]– رمضان الصباغ :مرجع سابق، ص368.

[2]– عبد السلام هارون: إحياء التراث وما تمّ فيه، ص17، مقال (pdf) منشور على الموقع،
https://www.noor-book.com/book/internal_download/2883dedd7bc07b803816b672a25a0f9ed6262149/3/b8973b5c7914fef9947ea61e16ab734d

[3]– عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت –لبنان–، ط1، 1979، ص63.

فالتراث هو ذلك المخزون الثقافي والتاريخي والسياسي والخلقي على مرّ الزمان، وهو الذي يرسم لنا صورة عن الشعوب الغابرة من خلال أفكارها وإبداعاتها وعاداتها وتقاليدها... إلخ، يقول عبد النور جبور في هذا الصدد: «إن التراث بمعناه الإنساني الحضاري يدخل فيه ما وصلنا على مرّ العصور والأزمنة من الإنتاج الآثاري والأدبي والاقتصادي والفني والاجتماعي والعلمي والديني والأخلاقي»[1].

وهذا معناه أنه عادة ما نجد التراث مصورا في الأعمال الفنية للأدباء والفنانين، لتصبح هذه الأعمال الفنية مزيجا بين التراث واللمسة الجديدة التي يضيفها المبدع ليعبر عن مبتغاه.

أما الدكتور محمد عابد الجابري فله رأي آخر حول مفهوم التراث، فيقول: «هذا ويمكن أن نلاحظ بالإضافة إلى ما تقدّم أنه لا كلمة "تراث" ولا كلمة "ميراث" وألا أيًّا من المشتقات من مادّة (و–ر–ث) قد أُستعمل قديما في معنى الموروث الثقافي والفكري –حسب ما نعلم– وهو المعنى الذي يُعطى لكلمة "تراث" في خطابنا المعاصر»[2].

وعليه، فكلمة تراث أو ميراث لم تكن تستعمل قديما للتعبير عن المخزون أو التركة الثقافية والفكرية، أو بمعنى آخر للتعبير عن المخلفات والأعمال الأدبية، بل كانت تستعمل لتحيل على التركة المالية، وهذا ما يوضحه من خلال قوله: «إن الموضوع الذي تحيل إليه هذه المادة ومشتقاتها في الخطاب العربي القديم كان دائما: المال وبدرجة أقل: الحسب، أما شؤون الفكر والثقافة فقد كانت غائبة تماما على المجال التداولي، أو الحقل الدلالي لكلمة

[1]– عبد النور جبور: مرجع سابق، ص63.

[2]– محمد عابد الجابري: التراث والحداثة –دراسات ومناقشات–، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 5 يوليو 1991، ص22.

"تراث" ومرادفاتها»[1]. ودعّم قوله بأمثلة من الكتب الأدبية، أن الأدباء قديما لا يستعملون تعابير أخرى، فيقول: «يتحدث الكندي مثلا، في مقدمة رسالته المعروفة بكتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى عن فضل القدماء وواجب الشكر لهم وضرورة الأخذ عنهم في مجال العلم والفلسفة، لا يستعمل العبارة الشائعة لدينا اليوم عبارة (تراث الأقدمين)، بل يستعمل تعابير أخرى مثل (ما أفادونا من ثمار فكرهم)» [2].

أما في الخطاب العربي الحديث، والمعاصر قد اكْتسى لفظ التراث معنى مختلفا مناقضا لمعنى مرادفه الميراث في الاصطلاح القديم، وفي هذا يقول محمد عابد الجابري «ذلك أنه بينما يفي لفظ (الميراث) التركة التي توزع على الورثة، أو نصيب كل منهم فيها، أصبح لفظ (التراث) يشير اليوم إلى ما هو مشترك بين العرب إلى التركة الفكرية والروحية التي تجمع بينهم جميعا لتجعل منهم جميعا خلفا لسلف، وهكذا فإذا كان (الإرث) أو (الميراث) وهو عنوان اختفاء الأب وحلول الابن محله، فإن (التراث) قد أصبح بالنسبة للوعي العربي المعاصر عنوانا على حضور الأب في الابن، حضور السلف في الخلف، وحضور الماضي في الحاضر»[3].

وهذا معناه أن كلمة التراث قديما تميل إلى معنى التركة (تركة المال والحسب) على عكس اليوم فهي تعني التركة الفكرية والروحية.

ومن هنا ينظر إلى التراث «على أنه بقايا ثقافة الماضي، بل على أنه تمام هذه الثقافة وكليتها: إنه العقيدة والشريعة واللغة والأدب والعقل والذهنية والحنين والتطلعات وبعبارة

1- محمد عابد الجابري: مرجع سابق، ص22.

2- المرجع نفسه، ص23.

3- المرجع نفسه، ص24.

أخرى إنه في آن واحد المعرفي والايديولوجي وأساسهما العقلي وبطائنتها الوجدانية في الثقافة العربية الإسلامية»[1].

والتراث في نظر "حسن حنفي" هو «كل ما وصلنا إليه من الماضي داخل الحضارة السائدة، إذن فهو قضية موروث وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على عديد من المستويات»[2].

ويقول أيضا «التراث ليس قيمة في ذاته إلا بقدر ما يعطى من نظرية علمية في تفسير الواقع والعمل على تطويره، فهو ليس متحفا للأفكار لنفخر بها وننظر إليها بإعجاب، ونقف أمامها في انبهار... بل هو نظرية للعمل وموجه للسلوك وذخيرة قومية يمكن اكتشافها واستغلالها واستثمارها من أجل إعادة بناء الإنسان وعلاقته بالأرض»[3]. فحسب رأي حسن حنفي التراث هو كل ما وصلنا من العصور الماضية، وقد بيّن هذا الأخير بأن التراث ذخيرة ومرجعية معرفية، موجّه للسلوك الإنساني، بل هو وسيلة فعّالة لتطوير الواقع وحل المشكلات، وذلك من خلال ما يُعرف بالتجديد، أي إعادة تفسير التراث وبعْثه طبقا لحاجات العصر ومتطلباته.

يواصل "حسن حنفي" في تعريفه للتراث فيقول: «التراث إذن هو مجموعات التفاسير التي يعطيها كل جيل بناءً على متطلباته... ليس التراث مجموعة من العقائد النظرية الثابتة

---

[1]- محمد عابد الجابري: مرجع سابق، ص24.

[2]- حسن حنفي: التراث والتجديد -موقفنا من التراث القديم-، مؤسسة هنداوي سي أي سي، القاهرة، ط1، 1980، ص15.

[3]- المرجع نفسه، ص15.

والحقائق الدائمة التي لا تتغير، بل هو مجموع تحققات هذه النظريات في ظرف معيّن، وفي موقف تاريخي محدّد، وعند جماعة خاصة تضع رؤيتها، وتكون تصوراتها للعالم»[1].

ومعنى قول حسن حنفي أن التراث هو ذلك الإنتاج والمخزون الذي تنتجه جماعة ما في زمن ما، نتيجة لمعطيات ذلك العصر، وحسب رأي حسن حنفي فإن التراث ليس مرهونا بفترة زمنية محدّدة، وليس شرطا أن تتكون معطيات عصرما ثابتة لا تتغير، ونعطي مثالا على ذلك، فمعطيات عصرنا الحاضر تصبح في المستقبل تراثا نورثه للأجيال القادمة وهكذا، وعليه فالتراث كالكائن الحيّ لا يمكن حبسه وحصره في فترة معينة، بل نحن نتوارثه عن أجدادنا ونعمل على بعثه بما يقتضيه حاضرنا، وبدوره تتوارثه الأجيال القادمة، والتي تعمل على بعثه وتوريثه هي كذلك.

ونستخلص ممّا سبق أن التراث هو ذلك الميراث أو التركة التي خلّفتها الشعوب الغابرة، بل هو ذاكرة الأمة وتاريخها، وإثبات لوجودها ومكانتها في هذا العالم الشاسع، فهو مخزون أو مجموعة من تراكمات أنتجتها الأمم عبر الزمن، ليصبح بذلك مرجعية هامة تنهل منها الشعوب لتقويم سلوكاتها وتطوير عوالمها.

وقد بيّنت لنا التعاريف السابقة بأنه من الصعب حبس التراث في فترة زمنية محدّدة، لأن معطيات اليوم ستصبح تراثا تنهل منها أجيال المستقبل، فالتراث إذن موجود في الزمن الماضي والحاضر والمستقبل.

---

[1]- حسن حنفي: التراث والتجديد -موقفنا من التراث القديم-، ص17.

ثانيا– أنواع التراث:

تتعدّد أنواع التراث عند كل حضارة من الحضارات أو عند أمة من الأمم، ومن أشهر أنواعها نجد:

1–التراث الشعبي:

وقد تضاربت الآراء في تعريف التراث الشعبي كل حسب وجهة نظره، ففاروق خورشيد يعرّفه بأنه: «مصطلح شامل نطلقه لنعني به عالما متشابكا من الموروث الحضاري، والبقايا السلوكية والقولية التي بقيت عبر التاريخ، وعبر الانتقال من بيئة إلى بيئة، ومن مكان إلى مكان... وهو بذلك مصطلح يضمّ البقايا الأسطورية أو الموروث الميثولوجي، العربي القديم، كما يضمّ الفولكلور العربي في البيئات العربية المختلفة سواء كان الفولكلور القولي أو الفولكلور النفعي أو الفولكلور الممارس، وسواء ظلّ على لغته الفصحى أو تحوّل إلى العاميات المختلفة السائدة في كل بيئة من هذه البيئات، وسواء كان من الفولكلور النمطي العربي العام، أم كان من الفولكلور البيئي التي تفرضه ظروف البيئة وظروف الممارسات الحياتية في هذه البيئة... ويضمّ هذا المصطلح أيضا الأدب الشعبي المدوّن والشفاهي»[1].

وعليه، ففاروق خورشيد ينظر إلى التراث الشعبي على أنه مجموعة الممارسات الشعبية السلوكية والطقوسية، أي أنه يضمّ العادات والتقاليد والأغاني والرقص والأساطير والأدب الشعبي سواءً أكان باللغة الفصحى أم اللغة العامية، أو كان شفاهيا أو مدوّنا، وهو المنتقل عبر الأجيال، مصوّرا من خلال الممارسات السلوكية والقولية الباقية في الضمير الإنساني.

[1]– فاروق خورشيد: الموروث الشعبي، دار الشروق، ط1، 1412 هـ / 1992 م، ص12.

وقد سار على النهج نفسه شوقي عبد الحكيم فعرّف التراث الشعبي أو الفولكلور بقوله «هو ما يشمل من مأثورات قد تكون أشعارا شعبية... مماويل حمراء أو خضراء دنيوية أو أشعارا غنائية نمطية ذات ملمح جماعي تشارك فيه الجوقة والمغنيون الانفراديون، وهو الملمح الغالب لدى الشعوب وكيانات الجزيرة العربية شمالا وجنوبا، والمعروف بالشعر النبطي بالإضافة إلى الحكاية الشعبية وأنماطها وتركة السير والملاحم التي تشكل وجدانا متوحدا لأمتنا من المحيط إلى الخليج، وطبعا لا يقتصر الأمر المأثورات الشعبية العربية على الأدبيات والفنون القولية والتعبيرية من رقص وموسيقى ومسرح مرتجل وإنشاد شعائري، بل هو يشمل الصناعات والحرف التقليدية من الإبرة إلى الصاروخ، ما بين معمار وأزياء وصدفيات ومعادن وسجاد يدوي وزجاج وسيراميك وفخاريات... إلخ»[1].

وعليه، فالتراث الشعبي هو عصارة أفكار الناس ومشاعرهم وآرائهم وطريقة تفكيرهم والمتوارث جيلا عن جيل، وهو مكوّن من الفنون القولية الشعبية والممارسات، والطقوس، والعادات، والتقاليد.

2-التراث الطبيعي:

ونعني بالتراث الطبيعي «المعالم الطبيعية المتألفة من التشكيلات الفيزيائية والبيولوجية أو من مجموعات هذه التشكيلات التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة النظر الجمالية أو العلمية»[2].

[1]- شوقي عبد الحكيم: الرجل والمرأة في التراث الشعبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ط، 2014، ص07.

[2]- جمال عليان: الحفاظ على التراث الثقافي، عالم المعرفة، مطابع السياسة الكويت، د. ط، 2005، ص59.

بمعنى أن هذا التراث خاص بكل ما هو متشكل بسبب التفاعلات الفيزيائية البيولوجية والعوامل الطبيعية دون تدخلات الإنسان، وتحدّد قيمتها إما عن طريق العلم أو من خلال نسبة جمالها الطبيعية.

ويدلّ مصطلح التراث الطبيعي «على التكوينات الجيولوجية والفيزيوغرافية وطبيعة المناطق المحدّدة والسمات الطبيعية التي يؤدي تجمعها إلى تكون موطن لأنواع متنوعة ومختلفة سواء للنباتات أو الحيوانات المهدّدة، وللمواقع ذات الطبيعة القيّمة سواء من وجهة نظر العلم أو يناء على مدى جماليتها الطبيعية بالإضافة إلى الحفاظ على طبيعتها، وهي عبارة عن مناطق محمية... كأحواض مائية، أو حدائق حيوانات...» [1].

ويتّضح من خلال التعريفين أن التراث الطبيعي عبارة عن محميات نباتية أو حيوانية، ولنا أمثلة كثيرة عنها مثل بحيرة بايكال في روسيا، حديقة تيد الوطنية بإسبانيا.

3-التراث الأدبي:

التراث الأدبي هو مصطلح متكون من كلمتين "تُراث" ونعني بها كل ما وصل إلينا وتوارثناه من آبائنا وأجدادنا، أما كلمة "أدب": «نقول أَدَّبَ تَأْدِيبًا (أدب)؛ عَلَّمَهُ الأَدَبَ (هَذَّبَهُ)، اما علم الأدب هو علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظًا وكتابة»[2].

«وقد أطلق الأدب على كل ما يكتب من الأعمال الشعرية والنثرية التي تحتوي على الجماليات الخيالية والتصويرية لغاية إيصال معان معينة من قبل كتابتها»[3].

---

[1] -www.mawdo3.com15.12.2023.22:30 ت.د

[2]- المنجد الأبجدي، تأليف دار المشرق، بيروت ،لبنان، ط5ن 1967، ص37.

[3] - www.mawdo3.com15.12.2023.22:30 ت.د

ومن خلال ما تقدّم إذا جمعنا بين مفهوم الكلمتين نجد بأن التراث الأدبي هو ما خلفه الأجداد من كتابات شعرية ونثرية بلغة جمالية تصويرية عبّرت عن مشاعرهم وآرائهم وأفكارهم في قالب فنّي جمالي.

4- التراث الديني:

مصطلح التراث الديني مصطلح أيضا مكوّن من كلمتين تراث ودين.

فالدّين لغة «بكسر الدّال له معان عديدة في المعجم العربي ذكرها الفيروز أبادي ومنها الجزاء والعادة والعبادة والطاعة والحساب والذل والغلبة وضدّ السلطان والحكم والملة والقضاء (قاموس المحيط)» [1].

هذا بالنسبة للتعريف اللغوي، أما المفهوم الاصطلاحي لكلمة دين هي «وضع إلاهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح وفي المآل، وهو يشتمل على العقائد والأعمال ويطلق على ملة كل نبي، وقد يخصّ بالإسلام لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ"﴾ آل عمران / 19. أصبح الدين ثلاثة أبعاد متكاملة: البعد الاعتقادي والبعد التشريعي والبعد السلوكي المتمثل أساسا في الشعائر والطقوس والعبادات الجماعية»[2].

---

[1]- محمد الكناني: موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني والعلمي والأدبي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ج01، ص 1012.

[2]- المرجع نفسه، ص 1013 - 1014

إذن فالتراث الديني هو جملة من المعتقدات والممارسات والأفعال التي يقوم بها الإنسان تعبّدا لله والتي توارثناها من ديننا الحنيف، والموثقة من خلال كتاب الله (القرآن الكريم) وسنة نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– والمتمثلة في الأحاديث النبوية الشريفة.

وعليه، هذه بعض أنواع من التراث الذي يعتبر مرجعا موجها لنا في جميع نواحي الحياة ومهذبا لنفوسنا وسلوكاتنا وكذا داعما لنا في الحفاظ والتمسك بهويتنا وقيمنا وثقافتنا وحاميا من الذوبان في ثقافة مخالفة لمبادئنا وشريعة ديننا الحنيف، فالتراث يعتبر أهم ركيزة يرجع إليها الفرد ليطور من نفسه ويثبت وجوده وكيانه ويعرف تاريخه وأمجاد أمته ويرتوي ويثبت وجوده وكيانه ويعرف تاريخه وأمجاد أمته ويرتوي من ثقافتها وحضارتها (الدينية، والأدبية، والثقافية...).

ثالثا– أهمية التراث:

للتراث أهمية كبيرة بالنسبة لشعوب العالم حيث إنه يلعب دورا مهما في إثبات وفرض وجودها على وجه الأرض، فالتراث هو هوية الأمة، حيث يقول د. حسام الدين طاهر عبد المنعم في هذا الشأن «إذا كانت هوية الأمم تتشكل وفق جملة من الأفكار والعادات والثقافات والأحداث التاريخية والأنظمة المجتمعية التي ينتمي إليها مجموع أفرادها، فإن هوية الأمة العربية الإسلامية إنما تستمد وجودها من التراث، فتراثها بالنسبة لها هو الماضي الذي يعيش في الحاضر ويرسم طريق المستقبل»[1].

[1]– حسام الدين طاهر عبد المنعم: مع التراث، دكتوراه في الآداب، جامعة الإسكندرية، ص57.

وعليه، فالتراث هو بمثابة مرآة عاكسة لهوية الأمة ووجودها ومعبرا عن إنجازاتها وتاريخها وأمجادها وعاداتها وتقاليدها، فهو بصمة ودليل أصالة أمة من الأمم. فالتراث أهم ركيزة وداعم على عدم الذوبان في ثقافات الشعوب الأخرى، وفي هذا الصدد يضرب لنا د. حسام عبد المنعم مثالا عن مآل الشعوب العربية فيقول: «فها هي الشعوب العربية وقد وهنت الأواصر بينها وبين تراثها، ونشأت أجيال من الشباب مغيّبة عقولهم في تقليد الثقافات الأجنبية واتباعها في كل ما يصلهم منها... ولكنهم مع ذلك يتسابقون في التقليد والذوبان في ثقافة الآخر والانسلاخ من هويتهم وكينونتهم»[1].

وعليه، فالتمسك بالتراث والحفاظ عليه والرجوع إليه عامل هام للتمسك بالهوية والحفاظ على ثقافة وعادات وتقاليد أية أمة من الأمم، أما التخلي عنه فهو أول عامل للوقوع في فخ ما يعرف بالغزو الثقافي والذوبان في ثقافة وشعوب أمم أخرى.

وللتراث أهمية بالغة في نونه مرجعية هامة ترجع إليها الشعوب لتطوير أوطانها ومستقبلها وكذا تقويم سلوكاتها وتهذيب النفوس، وهذا لما يحتويه من معارف وأفكار بناءة، ولنا مثل في تراثنا الإسلامي، وفي هدا الشأن يقول أنور الجندي «ولا ريب أن تراثنا الإسلامي في مجال الاجتماع والقانون والتربية والسياسة حافل بذخائر تجد البشرية نفسها اليوم في حاجة إلى أن تتعرف عليها وتنتفع بها، وقد اعترفت بها مؤتمرات عالمية وكتب عنها علماء منصفون أمثال درابر وجوستاف لوبون وتوماس كارليل... إن لدينا مفاهيم أصلية في بناء المجتمع وتكوين الفرد صاغها الإسلام الذي أعطاها ناموس الحضارات وقانون قيام الأمم والمجتمعات... وما يزال هذا التراث الإسلامي المنثور يهدي إلى الحق... ويهدي البشرية كلها

[1]- حسام الدين طاهر عبد المنعم :مرجع سابق، ص58.

إلى الضياء الحق، بعد أن فسدت الأيديولوجيات والمذاهب الغربية في أن تقدم مطامح النفوس وهدى القلوب»[1].

والتراث أيضا تكمن أهميته في كونه مادة خامًا يستقي منها الأدباء والكتاب مادتهم الأدبية ليعبروا بها عن قضايا مختلفة في عصرهم.

وكخلاصة يمكننا القول إن التراث مظهر من مظاهر الهوية والحفاظ عليه هو حفاظ على هوية الأمة ووجودها وكيانها، به تحافظ الشعوب على أصالتها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها، والبعد عنه هو اقتلاع لجذورنا وأصولنا ومحو لتاريخنا، والوقوع في خطر الذوبان في ثقافات الشعوب الأخرى وهو ما يعرف في وقتنا الحالي باسم الغزو والثقافي وإبعادها عن مقوماتها المتمثلة في اللغة والدّين والشريعة، هذا من جهة. من جهة أخرى يبرز دور التراث بأنه مرجعية مهمة ينهل منه الأدباء والروائيون للتعبير عن قضايا اجتماعية وسياسية ودينية، فهو بذلك يلعب دور الرّمز في كتابات الأدباء والروائيين.

رابعا– أقسام التراث الشعبي:

ينقسم التراث بشكل عام إلى فرعين رئيسيين هما: الفرع المادي والذي يضم الموروثات المادية الملموسة كالمباني الأثرية والحلي واللباس والطعام، ويدخل ضمنه كذلك عناصر الثقافة المادية للشعوب من «أدوات الطعام، الأجهزة المنزلية، الأثاث، بعض أدوات العمل، إلى

[1]– أنور وجدي: صفحات مضيئة من تراث الإسلام، دار الاعتصام، د.ط، ص 5 – 6.

جانب موضوعات أخرى ذات طابع مادي وفني مثل استخدام أدوات الزينة وخاصة زينة الجسم وزينة البيت وأنواع الأزياء التقليدية... والأواني المستخدمة بالمنزل»[1].

أما التراث اللامادي (المعنوي) فتعرفه منظمة الأمم المتحدة للعلوم والتربية بأنه: «الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات... هذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها»[2].

كما حددت ذات المنظمة المجالات التي تدخل في إطار هذا النوع من التراث في:

1- التقاليد وأشكال التعبير الشفهي بما في ذلك اللغة كوسيط للتعبير الثقافي غير المادي.
2- فنون وتقاليد أداء العروض.
3- الممارسات الاجتماعية والطقوس والعروض والاحتفالات.
4- المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون
5- المهارات المتعلقة بالممارسات الحرفية التقليدية[3].

أما التراث الشعبي فينقسم إلى عدة أقسام فرعية اختلف العلماء، والباحثون في تحديدها وتصنيفها، ومن ذلك نجد تقسيم الجوهري الذي أورده "محمود مفلح البكر" في

---

[1]- سعيد المصري: إعادة إنتاج التراث الشعبي، الهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية، ط1، القاهرة، 2012، ص 57.

[2]- منظمة الأمم المتحدة للربية والعلوم والثقافة: التراث الثقافي غير المادي (النصوص الأساسية)، اتفاقية عام 2003، طبعت في اليونيسكو، فرنسا، 2018، ص 6.

[3]- المرجع نفسه، ص 7.

مؤلفه "البحث الميداني في التراث الشعبي"، حيث يقول: «ومن هذه التقسيمات ما وضعه الجوهري عام 1969 حسب نظرته التي أشرنا إليها وكان تقسيما سداسيا، العادات الشعبية، المعتقدات الشعبية، المعارف الشعبية، الأدب الشعبي، الفنون الشعبية، الثقافة المادية، ولكن قبل مضي عام عدل الجوهري تصنيفه السداسي إلى الرباعي... فكان التقسيم كالتالي: المعتقدات والمعارف الشعبية، العادات والتقاليد الشعبي، الأدب الشعبي وفنون المحاكاة، الفنون الشعبية والثقافة المادية»[1].

ويتشابه الدكتور مصطفى جاد في تقسيمه لمواد التراث الشعبي مع الجوهري إلا أن تقسيمه كان خماسيا، وهو ما أورده في مؤلفه "مكنز الفولكلور، المجلد الأول «وذلك بفصل الفنون الشعبية عن الثقافة المادية»[2].

وسنستند في تقسيمنا لأنواع التراث الشعبي إلى التقسيم الرباعي لمحمد الجوهري:

1-المعتقدات والمعارف الشعبية:

«يشمل التراث الشعبي المعتقدات الشعبية، والعادات تماما كما يشمل الإبداع الشعبي»[3]. فلكل أمة من الأمم جانب فكري عقائدي، روحي متجذر في أعماق التاريخ توارثته الأجيال حتى وصل إلينا، فالمعتقدات الشعبية «يعرفها الجوهري بأنها تلك الأفكار والأحاسيس التي تحرك الناس إزاء الظواهر الطبيعية والشاذة، كتصورات الناس عن الزلزال

[1]- محمود مفلح البكر: البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة، مديرية التراث الشعبي، د ط، دمشق، 2009، ص 73.

[2]- المرجع نفسه، ص 74.

[3]- فوزي العنتيل: الفولكلور ما هو؟ مطابع دار المعارف، مصر،دط، 1995، ص 88.

والخسوف ...وكذلك تصورات الناس عن أسرار بعض الظواهر الفيزيقية والنفسية كالأحلام والنوم والميلاد والولادة والخلاص والموت ورؤية المستقبل»[1].

كما يذهب العنتيل إلى أن المعتقدات الشعبية «انبثقت من فهم الإنسان البدائي، ففي كل مكان في العالم الشاسع الغامض الذي كان يحيط به نجد أنه كان شديد الإحساس بالقوى الظاهرة والخفية، وعلى الرغم من أنه كان يشعر بتأثيرها حوله، فإنه لم يكن يستطيع فهمها فهما واضحا»[2].فالمعتقدات الشعبية متعلقة بكل ما يحيط بالإنسان في الكون ومظاهره المختلفة من حيوانات ونباتات والشمس والقمر، والليل والنهار... وسواء وجد لها تفسيرا أم لم يجد فقد وضع لها رمزيات كالتفاؤل والتشاؤم أو الفرح أو الحزن وذلك مع تطوره عبر الزمان والمكان وتطور تفكيره كذلك.

أما المعارف الشعبية فهي: «مجموع الخبرات والمعارف التي توصل إليها الشعب عبر تاريخه الطويل وتوارثتها الأجيال، وطورت فيها لتناسب ظروفها وبيئتاها المتنوعة وأساليب عيشها المختلفة من بيئة إلى بيئة»[3].

وتشمل المعتقدات والمعارف الشعبية حسب العلماء والباحثين «نشأة الكون، الطوفان، الأرواح، الأولياء الصالحين، والقديسون، الطيور ، النباتات، السحر، الأماكن والاتجاهات»[4].

1- نوار عبيدي، فوزية خميسي: المعتقدات الشعبية في الأسرة الجزائرية من طقوس الولادة حتى نمو الطفل، مجلة تاريخ العلوم، العدد 9، 2017، ص 136.

2- فوزي العنتيل: مرجع سابق، ص 119.

3- محمود مفلح البكر: مرجع سابق، ص 76.

4- المرجع نفسه، ص 77.

2- العادات والتقاليد الشعبية:

العادات والتقاليد سلوكات وأفكار سائدة في المجتمعات وهي تختلف باختلاف ثقافات وبيئات الشعوب فالعادة الشعبية «سلوك جمعي عام، متكرر، يمارسه مجتمع ما في منطقة ما، أو أكثر، جماعات أو أفراد لحاجة ما، أمنية، صحية، أو تربوية أو ترفيهية... أما التقليد فتكون بداية غالبا بعمل مبتكر وفكرة مبتكرة من أحد الأذكياء، من قضاة شعبين أو حرفيين، أو فنانين أو فرسان أو أجواد أو أدباء، فتنال الفكرة الجديدة والعمل الجديد استحسانا من المهتمين بها فيتبعونها، فتصير تقليدا متبعا وعرفا شائعا له حكم وقانون»[1].

تمارس العادات والتقاليد في مختلف المناسبات كالأفراح والأعراس وفي الجنائز وعند مولد الطفل الجديد وفي مواسم الزراعة والحصاد، وحتى في الحياة اليومية كعادات الطعام وغير ذلك.

تنقل لنا العادات والتقاليد الماضي وتربطه بالحاضر من خلال استمرارية ممارستها وكذلك لما تحمله أغلبيتها من مبادئ وقيم ترمز إلى أصالة كل مجتمع وهويته.

3-الأدب الشعبي وفنون المحاكاة:

يضم التراث الشعبي «الأدب الشعبي المدون والشفاهي، ما هو منقول عبر المكان والزمان وظل يقاوم كل محاولات طمسة حتى وصل إلينا بصورة محددة واضحة في المطبوع من هذا الأدب والمحفوظ الثابت في ذاكرة الحفظة لهذا الأدب»[2].

---

[1]- محمود مفلح البكر:مرجع سابق، ص 78.

[2]- فاروق خورشيد: الموروث الشعبي، ص 12.

فالأدب الشعبي فرع هام من فروع التراث الشعبي يعتمد على الرواية الشفوية في انتقاله بين الأجيال، وهو يحمل أفكار وإبداعات الشعوب والحكم والأمثال والأقوال وخلاصات التجارب الحياتية فهو: «مجموعة العطاءات القولية والفنية والفكرية والمجتمعية التي ورثتها الشعوب»[1].

وبما أن هذا الأب الشعبي يحمل إبداعات الشعوب وعطاءاتها المختلفة فهو بمثابة المكتبة الشاملة التي تحمل مختلف أشكاله وتنظمها وترتبها وهو ما تذهب إليه نبيلة إبراهيم بقولها: «يحول الفوضى إلى نظام وكل نوع من أنواع الإنتاج الأدبي الشعبي مثل الحكاية والخرافة والأسطورة الكونية وأساطير الأخيار والأشرار إلى غير ذلك إنما تهدف إلى تفسير جانب من جوانب الحياة»[2]؛ فهو نتاج إبداع شعبي يتم صقله وإعادة بعثه من جديد في أشكاله المتعددة، يعمل على تفسير وتحليل مختلف القضايا المتعلقة بمختلف جوانب حياة الفرد والجماعة «ينبع من الوعي واللاشعور الجمعي»[3]، إذ أنه ليس متعلقا بمؤلفه أو مبدعه فحسب وإنما يتعلق بالجماعة وبما تعيشه وتحسه وتعبر عنه بأفكار وإبداعات متنوعة.

في غالب الأحيان يكون الأدب الشعبي مجهول المؤلف وذلك نتيجة التواتر الشفهي له، يحدد يوري سولوكوف هذه الخاصية بقوله: «مجهولية المؤلف لا تعني لا شخصية للإبداع الشعبي أو مجهولية الأعمال الفولكلورية وعدم انتسابها إلى مؤلف، ترجع إلى أن أسماء المؤلفين

---

[1]- فاروق خورشيد: عالم الأدب الشعبي العجيب، دار الشروق الأولى، د ط ،القاهرة، 1991، ص8.

[2]- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، مصر، 1974، ص 7-8.

[3]- المرجع نفسه، ص 3.

لم يكشف عنها في معظم الحالات، إن هذه الخاصية سمة خارجة عارضة، فالأعمال الشعبية لها مؤلفها وإن كانت الرواية لم تنقله لنا»[1].

والأدب الشعبي ليس له شكل محدد فهو يشمل «السير الشعبية، الأساطير والملاحم، الحكايات الشعبية بأنواعها، الأغاني الشعبية بأنواعها المواويل بأنواعها، المدائح النبوية والابتهالات الدينية، الأمثال الشعبية، التعابير والأقوال المأثورة، النداءات، الأعمال الدرامية والمسرحية الشعبية...إلخ»[2].

4-الفنون الشعبية والثقافة المادية:

يزخر التراث الشعبي بألوان وأنواع من الفنون الشعبية النابعة من إحساس ووجدان الفرد، أنتجها بكل حب بطرق مختلفة فهي متعلقة بما يبدعه ويتفنن في إنجازه، ويدخل في إطارها «الموسيقى الشعبية والرقص الشعبي والألعاب الشعبية، وفنون التشكيل الشعبي»[3].

أما الثقافة المادية فهي: «الشيء الملموس المحسوس بوجه عام وبمعنى آخر هو تحويل للمادة الخام إلى شكل محدد، يخدم غرضا لدى الإنسان، أما أهم أنواعها: أولا: الصناعة اليدوية كالمصنوعات الجلدية والصناعات الصوفية وصناعة الفخار وثانيا: الخياطة والتطريز وأدوات الزينة»[4].

1- يوري سولوكوف: الفولكلور قضاياه وتاريخه، ترجمة حلمي الشعراوي وعبد الحميد حواس، مراجعة عبد الحميد يونس، مكتبة الدراسات الشعبية، ط2، القاهرة، 2000، ص 26.

2- مرسي الصباغ: دراسات في الثقافة الشعبية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2001، ص 19-20.

3- المرجع نفسه، ص 19.

4- المجلة العربية، الموقع،

- www.arabicmagazine.net>ar29.12.2023.20:15 ت.د

ويجملها محمود ملفح البكر في عدة مجالات: «الحرف، المهن، أدوات العمل، الأدوات والتجهيزات المنزلية، خبرات الفلاحة، خبرات الرعي، خبرات البناء وأنواعه ومعالجة المواد وغيرها»[1].

وعلى العموم هناك تداخل كبير وتشابك بين مجالات وميادين الفنون الشعبية والثقافة المادية.

[1]- محمود مفلح البكر: مرجع سابق (يتصرف)، ص 95-96.

الفصل الأول

التوثيق والفيلم الوثائقي

أولا: التوثيق والفيلم الوثائقي تحديدات اصطلاحية:

التراث هو تاريخ الأمة وهويتها، فهو الذي يحفظ ذاكرتها وماضيها، وهو دليل وجودها، ودافع لتطورها ومعبّر عن أصالتها وأمجادها، وقد توارثته الأجيال عن الأجداد لفترات طويلة عن طريق المشافهة، الأمر الذي جعل جُزْءً كبيرا من تراثنا يندثر بسبب عوامل كثيرة كالتحريف والنسيان، لكن ما نلاحظه في الآونة الأخيرة أن هناك جهودا جبّارة للحفاظ على هذا الارث ، من خلال ابتكار وسائل جديدة وناجعة للحفاظ عليه وظهرت هناك العديد من المجهودات الرامية إلى جمعه من الميدان وتوثيقه عن طريق وسائل عصرية متمثلة في الأفلام والروبورتاجات والأشرطة، لنتوسع أكثر في موضوع توثيق التراث وجب أولا أن نعرّج على مفهوم مصطلح التوثيق.

1-تعريف التوثيق:

أ/ لغة:

جاء في لسان العرب «الوثاقة: مصدر الشيء الوثيق المحكم، ووَثُقَ الشيء بالضم وَثَاقة فهو وثيق أي صار وثيقا والأنثى وثيقة التهذيب: والوثيقة في الأمر إحكامه والأخذ بالثقة، والجمع الوثائق... والوثيق: الشيء المحكم، والجَمْعُ وِثَاقٌ، ويُقال أخذ بالوثيقة في أمره أي بالثقة، وتوثّق في أمره: مثَّلَهُ، ووثقت الشيء توثيقا فهو موثق والوثيقة الإحكام في الأمر»[1].

[1]- ابن منظور: لسان العرب، مادة (و – ث – ق)، ج 10، ص371.

أما في معجم المعاني «التوثيق (اسم) مصدر وثَّقَ نقول وُثِقَ الشيء قوي وصار محكما، ووثق الأمر: أحكمه، قَوَّاهُ وثَبَّتَهُ وأكّدَهُ، وثّقَ المعلومات حَدَّدَ أصلها وتأكّدَ من صحتها»[1].

فالمعنى اللغوي لكلمة التوثيق هنا يشير إلى مفهوم الشد والإحكام، والتقوية، والإثبات، والتأكيد.

وهناك مفهوم لغوي آخر للتوثيق «وثق فلانا: قال فيه: إنه ثقة، ووثق الأمر أحكمه، ووثق العقد ونحوه أي سَجَّلَهُ بالطريق الرسمي فكان موضع ثقة»[2]

من خلال هذا التعريف هناك إضافة في التعريف اللغوي على أن التوثيق تسجيل الشيء بشكل رسمي وقانوني. «والموثق يوثق الحقوق، أي يثبتها ويحكمها ويقويها بالكتابة والشهود، والوثيقة: ربط الشيء لئلا ينفلت ويذهب، وسمّيت عقودا، لأنها ربطت كتبه كما ربطت قَوْلَهُ»[3].

---

[1] –www.almaany.com ت.د 05.01.2024.18:45

[2]– كتيب التوثيق في التوثيق اليدوي والآلي للمصادر والمراجع في البحوث والدراسات العلمية، 2021، ص 05. كتاب إلكتروني مستل من الموقع،

- https‹//www.kotobati.com/book/download/8990071a-c91b-4794-8790-0cdd35cfbf72

[3]– الدباغي أحمد: أحكام التوثيق والوثائق عند فقهاء المالكية –دراسة مقارنة بالقانون الجزائري–ن مجلة ضياء للدراسات القانونية، المجلة 04، العدد 01، 2022، ص 25-26.

ب/ اصطلاحا:

يعتبر التوثيق أحد أنواع العلوم الذي يهدف إلى حفظ المعلومات ونقلها لاستخدامها في مراجع أخرى ويعَرّف التوثيق «على أنه إثبات مصادر المعلومات وإرجاعها إلى أصحابها توخيا للأمانة العلمية»[1].

وهذا معناه ان كلمة التوثيق تعني تسجيل وإرجاع المعلومات إلى أصحابها أو مصادرها.

ويقصد بالتوثيق أيضا «ذكر النص المقتبس منه أو الذي قام الباحث بالاستشهاد به، سواء كان هذا النص من مرجع، أو كتاب، أو بحث، أو مقالة، أو دراسة... إلخ والذي تمّ النقل منه باستخدام طرق التوثيق العديدة»[2].

وقد عُرِّف التوثيق أيضا «توثيق نص: التأكد من صحة نسبته إلى مؤلفه، والعصر الذي قيل فيه والاطمئنان إلى أن النص وصل إلينا كما تركه مؤلفه، فلم يلحقه تزوير أو تحريف أو حشو أو إكمال أو أي شيء من هذا القبيل، وهو بذلك يصبح وثيقة من الوثائق يعني لا يتطرق إليه شك»[3].

ومن هنا يتّضح أن التوثيق هو نسبة نص إلى المؤلف الحقيقي وعدم تحريفه سواء بالزيادة أو النقصان.

---

[1]– علاء الشرماني: كتيب التوثيق في التوثيق ص16، الموقع السابق.

[2]– فوزي رجب:الانتحال العلمي، منظمة المجتمع العلمي العربي، ص02. كتاب إلكتروني مستل من الموقع،

- https،//tg.tanta.edu.eg/admin-cp/uploads/الانتحال العلمي -1538694366/ورش العمل.pdf

[3]– عادل محمد فتحي: مفهوم التحقيق والتوثيق –بحث في أصول البحث الأدبي–، كلية اللغات، قسم الدراسات الأدبية، جامعة المدينة العالمية شاه علم ماليزيا، ص12.

ويعدّ التوثيق بمعناه العام «عملية حفظ دقيقة وشاملة، تسعى إلى الحفاظ على النتاج الفكري والثقافي والإعلامي، ومجمل خطوات النشاطات الإنسانية البشرية أو شرائح من الأفراد، في أطر مكانية أو ظروف حياتية خاصة أيضا، في وثائق تتعدد أشكالها ومضامينها وأهدافها والمتضمنة لهذا النوع من النتاج البشري، والعمل على أرشفته وتسجيله وصيانته...»[1].

وهذا معناه أن التوثيق هو عملية تسجيل وحفظ جميع إنجازات الإنسان (الفكرية، الإعلامية، التاريخية، الإنسانية... الخ) في وثائق مختلفة قد تكون كتابية أو إعلامية بهدف الحفاظ على النتاج من التلف أو الضياع.

وقد ارتبطت عملية التوثيق في كثير من الأحيان وفي نظر العديد من الباحثين بمهمة حفظ الوثائق التاريخية، ليقتصر مفهومه على الجانب التاريخي، ويعلق باحث حول ذلك، «لقد أرادوا قصر استخدام لفظ التوثيق على المعنى التاريخي، باعتباره مرتبطا بالوثائق أساسا»[2].

والتوثيق كلمة فرنسية الأصل تعني في بعض تعاريفها «ذلك العلم الذي يهتم بتجميع المواد أو الوثائق المدونة وتخزينها وتنظيمها بشكل علمي مدروس ومبوّب من أجل الرجوع إليها، والاستفادة منها في المجالات المعرفية المتعددة وبخاصة مجال البحث العلمي»[3].

---

[1]– سميرة شيخاني: مصادر المعلومات والتوثيق العلمي، منشورات الجامعة الافتراضية السورية، الجمهورية العربي السورية، 2020، د.ط، ص32-33.

[2]– نصر محمد عباس: التوثيق الإعلامي، اكاديمية الدراسات العالمية، ط01، 2004، ص09.

[3]– سميرة شيخاني: مرجع سابق، ص32.

وبعبارة أدقّ «فإن عملية توثيق المعلومات تشمل البحث عن المعلومات من مختلف المصادر والأصول، ثم اختيار المناسب منها، وفهرستها وتصنيفها وتحليلها، واستخلاصها وتكشيفها وفق أسس ونُظم عملية وفنية لغرض تهيئتها للاسترجاع عند الطلب، سواء كان هذا الاسترجاع يدويا تقليديا أو آليا بواسطة الحاسب الآلي»[1].

وهناك العديد من التعاريف التي أطلقها علماء يعرّفون بها التوثيق، حتى وإن اختلفت هذه التعاريف في صياغتها اللغوية إلا أنها تتشابه في مضمونها الاصطلاحي والذي يرمي إلى أنه عملية جمع المعلومات وتحليلها وحفظها بغرض سهولة استرجاعها من قبل الباحثين.

ويعرّف "موريتمر تاوبة" التوثيق أنه «العمليات التي يشمل عليها توصيل المعلومات المتخصصة والتي تتضمن العمليات التي تكوّن المكتبي المتخصص إلى جانب العمليات المبْدَئيّة الخاصة بإعداد ونسخ المواد وما يتبعها من عمليات التوزيع»[2].

وعرّف العالمان جيمس ماك وروبرت تايلور التوثيق بأنه «مجموعة من العمليات اللازمة لتجميع وتنظيم وتوصيل المعرفة المتخصصة وذلك لغرض توفير أقصى استخدام ممكن للمعلومات التي تشتمل عليه»[3]

---

[1]– سميرة شيخاني: مرجع سابق، ص33.

[2]– محمود عِزَّت اللّحام ،ماهر عودة الشمالية، مصطفى يوسف كافي: التوثيق الإعلامي، دار الإعصار العلمي، عمان، ط01، 2015، ص18.

[3]– المرجع نفسه، ص18.

ويعرّفها براد فورد «إنّ التوثيق هو عملية جمع وتصنيف جميع سجلات المعرفة والمعلومات الحديثة وتيسير استعمالها لمن يحتاجها من الباحثين والمخترعين»[1].

وعليه، فالتوثيق علم وفن في الوقت نفسه، يرمي إلى تجميع مختلف الأنشطة الفكرية وتصنيفها وتنظيمها وفق أسس علمية وفنية تهدف إلى الاستفادة منها وسهولة الوصول إليها من قبل الباحثين.

والتوثيق علم قائم بذاته فهو «أحد أنواع العلوم الذي يهدف إلى حفظ المعلومات ونقلها لاستخدامها في مراجع أخرى، ويعتبر بول أوتلي وهنري لافوتين هما من قاما بتأسيس هذا العلم... ويعرف بأنه تسجيل المعلومات حسب طرق علمية متفق عليها»[2]

وعليه فالتوثيق علم له روّاده وأسسه وطرائقه العلمية في تسجيل المعلومات الذي يعتمد على المصداقية في نقلها سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من مراجع مختلفة لا تقتصر على المطبوعات والمنشورات، وفي هذا الشأن يقول علاء الشرماني «ويقصد بالتوثيق إثبات المراجع التي استفاد منها الباحث بصورة مباشرة أو غير مباشرة عند إعداده بحثه وأن الهدف الأول هو توثيق المصادر التي تمت الاستفادة منها، فقد يشير المؤلف إلى بعض المراجع لفائدة القارئ، ولا يقتصر التوثيق على ما نقله الباحث من المطبوعات أو المنشورات بمعناه الواسع، ولكن التوثيق يشمل المخطوطات والمسودات وما يلقيه المدرس على طلابه أثناء المحاضرات وأيّة معلومة جاهزة معلوم مصدرها عند أهل

1- محمود عِزَّت اللّحام ،ماهر عودة الشمالية، مصطفى يوسف كافي: مرجع سابق، ص18.

2- بريشي مريامة، مهرية خليدة:طرائق التوثيق العلمي APA، MLA، CBE وطريقة شيكاغو، مجلة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي علي كافي الجزائر، المجلد 04، العدد 04، جامعة قاصدي مرباح ورقلة -الجزائر- ص 62.

الاختصاص... لا فرق في ذلك بين المعلومة التي يتلقاها بالقراءة أو بالسماع أو بالمشاهدة»[1].

والتوثيق أيضا «هو تعريف بمصادر العمل البحثي والمصادر هي إشارة إلى أعمال الآخرين (المنشورة أو غير المنشورة) بوضع معلومات الكاتب والعمل المأخوذ بشكل سليم وواضح وتكون هذه الإشارة عبارة عن تعبير مختصر للمعلومات البيلوغرافية للإقرار باستخدام عمل شخص آخر وتقدير أهمية عمل الآخرين في موضوع محدّد»[2].

وهذا معناه أن التوثيق لا يعني فقط الإشارة إلى البيانات أو البيلوغرافيات التي تخصّ الأعمال المنشورة، فحتى الأعمال غير المنشورة وجب ذكر مصادرها كاسم المؤلف، عنوان البحث، بيانات النشر... الخ، والتوثيق هو طريقة للتعبير عن أهمية الأعمال السابقة في مجال محدّد.

وأما بخصوص التوثيق في الفقه فيقول الدباغي أحمد في هذا الشأن «ذكر السهلي على أنه –وبالرغم– من أن علم الوثائق من العلوم التي بحثها العلماء وألّفوا فيها كثيرا، إلا أنه لم يعثر على تعريف اصطلاحي لهذا الفن، لكنه نقل تعريفا للتوثيق عن الفاضلي، وهو "علم" يُبْحَثُ فيه عن كيفية إثبات العقود والالتزامات والتصرفات وغيرها على وجه يصحّ الاحتجاج والتمسك به، وأدخَلَ السهلي تعديلا على تعريف الفاضلي كما يلي:

[1]– علاء الشرماني: كتيب التوثيق، ص 05 – 06.

[2] –https،//pomed.01g ت.د 11.02.2024.21:15

هو العلم الذي يُبحث فيه عن كيفية كتابة الأحكام والوقائع وإثباتها بشكل مخصوص حيث تكون حُجَّة بذاتها أو مع غيرها»[1]..

وهذا معناه أن التوثيق هو علم من العلوم يسعى إلى حفظ الحقوق والالتزامات بطرق ناجعة، وعليه فالتوثيق وسيلة فعالة في صدّ التلاعبات عن طريق الوثائق.

«والوثيقة هي ورقة تدوّن فيها الحقوق والالتزامات بشكل رسمي يصونها من الفساد والتلاعب وتقدّم عند الاختلاف أو المطالبة بالحق للقضاء أو أي جهة تنظر في الخصومات أو تتولى دفع الحقوق لأصحابها، فالهدف من التوثيق حفظ الحقوق وصيانتها والوثائق تشمل الكتابة والصكوك والسجلات وغيرها»[2].

وعليه، فمصطلح التوثيق يحيل لغويا على الشيء المحكم والمثبت والمؤكد، أما اصطلاحيا فهو مصطلح يعبر عن ذلك العلم الذي يسعى إلى حفظ البيانات والمعلومات وصحة نسبتها إلى مؤلفها سواء كانت هذه المعلومات، أو النص كتابا، أو بحثا، أو مقالة، فهو بذلك الطريقة المثلى في تقديم ونسخ وجمع ونشر وتنظيم المعلومات ليسهل على القارئ الحصول على المادة العلمية.

والهدف منه التعريف بمصادر العمل البحثي كاسم المؤلف، وعنوان المادة، الصفحة، السنة، والتوثيق يجعل من العمل البحثي أكثر دقّة ويتحلّى بالعلمية، كما يحفظ النص الأصلي المقتبس من التحريف بالزيادة أو النقصان.

---

[1]- الدباغي أحمد: أحكام التوثيق والوثائق عند فقهاء المالكية -دراسة مقارنة بالقانون الجزائري-ص 26.

[2]- المرجع نفسه، ص27.

2-أهمية التوثيق:

يعتبر التوثيق أهم طريقة لحفظ التراث من الضياع والاندثار والتزوير، فالتوثيق العلمي «يشكل دعامة أساسية لحفظ الإنتاجات الفكرية فلولاه لما استطعنا أن نتعرّف على الحضارات السابقة»[1].

وعليه، فعملية التوثيق عامل مهم في إحياء التراث وحمايته، وفي هذا الصدد يقول عادل محمد فتحي «والتحقيق والتوثيق مصطلحان يشيعان في حقل الدراسات الأدبية أكثر من أي حقل علمي آخر، فهما يستخدمان في مجال نشر التراث الأدبي في صورة صحيحة وتنقيته من كل شائبة»[2].

أما في المجال العلمي فيعتبر التوثيق خير برهان على مفهوم الأمانة العلمية تقول مليكة قماط «والتوثيق ضرورة حتمية لا يمكن إغفالها أو الاستغناء عنها بأي شكل من الأشكال لكونه يحقق الأمانة العلمية ويحفظ لكل ذي حق حقه»[3].

كما تكمن أهمية التوثيق العلمي في كونه «يحافظ على حقوق الملكية الفكرية.

- يمنع التداخل بين الأفكار والتشتت في عرض المعلومة.
- الإشارة إلى مصدر المعلومة المستخدمة... وبالتالي إتاحة الفرصة للقراء للبحث والحصول على معلومات أكثر بالرجوع للمصادر الرئيسية»[4].

---

[1]- مليكة قماط: اليوم الدراسي الحادي عشر حول نظام التوثيق وفق جمعية علم النفس الأمريكية APA، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو 2017، ص09.

[2]- عادل محمد فتحي: مفهوم التحقيق والتوثيق -بحث في أصول البحث الأدبي، ص 12.

[3]- مليكة قماط:مرجع سابق، ص 09.

[4]- المرجع نفسه، ص16.

«يعطي التوثيق مصداقية لعملك إما عن طريق تقديم الدعم لحججك، أو بالإشارة إلى القراء قد أخذت وجهات نظر أخرى في عين الاعتبار»[1].

وبالتالي فالتوثيق دليل على المصداقية العلمية وتجنب الانتحال أو السرقات العلمية وبذلك ينسب كل جهد وعمل إلى صاحبه، فلا يمكن بذلك نسبة عمل أو جهد إلى صاحبه فلا يمكن بذلك نسبة عمل أو جهد إلى شخص آخر، كما أن التوثيق يعطي العمل البحثي الدقة ويوسمه بالحجة والبرهان.

وتكمن الأهمية الأخرى للتوثيق في «خلق أرشيف من الوثائق يساعد الدارسين والباحثين في التخصصات المختلفة على إنجاز بحوثهم العلمية والتاريخية المتعلقة بالجوانب المختلفة من حياة المجتمعات (دراسات تاريخية، إحصائية...) فسجلات العقود مرجع من المراجع التي يعتمدها الباحثون في تخصصات العلوم الإنسانية المختلفة»[2].

أما الدكتورة سميرة شيخاني فتحدّد لنا أهمية التوثيق في كونه «الركيزة الحقيقية التي يعتمد عليها الباحثون في البحث عن الحقيقة.

- ذاكرة الأمة المضيئة اليقظة الحصينة التي يدركها النسيان.
- حلقة وصل متينة تصل حاضر الأمة بماضيها.
- شاهد حي على نضال الأفراد والجماعات والمنظمات والحكومات والدول التي تعاقبت منذ فجر التاريخ.

[1] –https،//pomed.org -project on middle eastdemocracy10.03.2024.17:15

[2]– الدباغي أحمد: مرجع سابق، ص 34.

- نعرف به مدى التطور الذي حصل في المجتمع وفي جميع مفاصل حركته في ذلك الزمن الماضي.
- المستند الصحيح المحكم المؤكد يؤخذ به على وجه الدقة والصحة والواقع والحقيقة كما كانت وكما هي.
- يسهل تنفيذ الأنشطة الشبيهة وينسبه إلى أهمية الأمر ويركز عليه لأنه يوفر المعلومات المناسبة للمستفيد منه، فتتكون سرعة الإحاطة بالمعلومات لتقديمها بأكثر الأشكال الملائمة»[1].

وتكمن أهمية التوثيق أيضا في أنها «تهدف في النهاية إلى توصيل المعلومات الموثقة إلى طالبها، أي توفيرها والإعلام عنها بالأسباب العلمية، ولما كانت المعلومات الموثقة ضرورة أساسية لمختلف مناحي حياة المجتمع السياسية والاقتصادية والفكرية، فإن أهمية التوثيق تدخل في صلب هذه العمليات جميعها، وتتعاظم أهميته بارتفاع مستوى الجهة المستفيدة في الهرم البنيوي للمجتمع، إلى أن يصل إلى متّخذي القرار الذي هم بأمس الحاجة إلى المعلومات الموثقة والمنظمة بشكل مركز يخدم اتخاذ القرار السليم في الوقت المناسب»[2].

وهذا معناه أن عملية التوثيق ضرورية في جميع مناحي الحياة الاجتماعية منها والاقتصادية والسياسية، بحيث يعتمد على المعلومات الموثقة أصحاب القرار الأعلى في البلاد يهدف اتّخاذ القرارات المهمة والصائبة في جميع الجوانب.

---

[1]– سميرة شيخاني: مرجع سابق، ص 33-34.

[2]– محمود عزت اللحام، ما هر عودة الشمالية، مصطفى يوسف الكافي: مرجع سابق، ص21.

«والتوثيق عنصر رئيسي فعال في التنمية الشاملة للمجتمع المعاصر»[1]، فهو يساهم في خدمة الإدارة والاقتصاد والتعليم واتخاذ القرار.

3-التوثيق الإعلامي:

إن التوثيق عملية مهمة في حفظ ذاكرة ومنجزات وتاريخ الأمم من الضياع والسرقة، وقد تعدّدت أشكال عمليات التوثيق وذلك، في فترات مختلفة من الزمن فنجد ما يعرف بالتوثيق الشفوي والذي يعتمد على قوة الذاكرة والحفظ، وكذا التوثيق الورقي ، التوثيق الإعلامي وهذا الأخير كان نتيجة حتمية في مواجهة ما يعرف بتدفق المعلومات الأمر الذي تطلب انشاء مؤسسات تهتم بتنظيم هذه المعلومات وتخزينها بطريقة تسمح باسترجاعها في وقت قصير وفي أيّ مكان فتجد ذلك مراكز المعلومات الصحفية ومراكز التوثيق الإعلامي، وعليه سنحاول تحديد مفهوم التوثيق الإعلامي وأساليبه.

3-1-مفهوم التوثيق الإعلامي:

التوثيق الإعلامي «هو عمليات تنظيم المواد والمصادر المتخصصة في مجال الإعلام من صحافة وإذاعة وخدمات المعلومات التي تتمّ في نطاق المؤسسات والأجهزة الإعلامية المختلفة متضمنة المراجع العامة ومختلف المواد ومصادر المعرفة التي تهم الباحثين والدّارسين والمشتغلين بالإعلام على اتّساع احتياجاتهم واختلاف اهتماماتهم»[2].

---

[1]- محمود عزت اللحام، ما هر عودة الشمالية، مصطفى يوسف الكافي: مرجع سابق ، ص 22.

[2]- محمد عبد البديع السيد: التوثيق الإعلامي في العصر الحديث، الناشر نشر شخصي للمؤلف، ط1، سنة النشر د.ت، ص 16.

وعليه فالتوثيق الإعلامي هو عملية تناول الإنتاج الفكري المتعلق بمجال الاتصال والإعلام والصحافة الإذاعة والمعلوماتية من خلال الجمع والتنظيم والفهرسة.

كما يعرف أيضا بأنه «مجموعة العمليات والإجراءات الفنية والمتخصصة التي تجري على المعرفة العلمية المتخصصة في مجال الإعلام والاتصال الجماهيري شاملة الجمع والاقتناء والتحليل الموضوعي والتصنيف والفهرسة والتكشيف والاستخلاص والتسجيل على وسائط تقليدية ورقية أو مصغرة أو الكترونية والتخزين ثم الاسترجاع اليدوي أو الآلي عند حاجة المستفيدين إليها»[1].

وعليه فالتوثيق العلمي هو تلك العمليات واللإجراءات الفنية (التحليل، التصنيف، الفهرسة، التكشيف، الاستخلاص، الحفظ، الذي يكون ورقيا أو الكترونيا)، وينتهي بآخر عملية ألا وهو الاسترجاع والذي يختلف فيكون يدويا إذا كانت الوثيقة ورقية، ويكون آليا، إذا كانت الوثيقة الكترونيا، وهذه العمليات تكون متعلقة بمجال الإعلام والاتصال.

3-2-أنواع التوثيق الإعلامي:

نتيجة لمواجهة التطورات التكنولوجية الحديثة، وكذا تدفق المعلومات، ظهرت العديد من المؤسسات التي عنيت بتنظيم وحفظ الكم الهائل من المعلومات والمعارف، بهدف تسهيل إتاحته للباحثين، حيث استعملوا تقنيات حديثة لتوثيق تلك المعارف، ومن بين هذه التقنيات والوسائل نجد:

[1]- محمد عبد البديع السيد: مرجع سابق، ص 16.

أ/ الفيلم:

جاء في المعجم الأدبي أن كلمة "فيلم" تعني «شريط يستعمل في الآلات المصورة والسينمائية اللاقطة والعارضة، وهو مختلف الأقيسة طولا وعرضا حسب الغاية منه، تسجل عليه المشاهد باللونين الأبيض والأسود، أو بألوان متعددة، وتطبع عليه الأصوات من كلام وغناء وموسيقى وأصداء طبيعية»[1].

فالفيلم إذن هو عبارة عن شريط مختلف الأحجام، يقوم بتسجيل المشاهد، مطبوعة عليها الكلام والغناء والموسيقى وغيرها.

ويقول جبور عبد النور أيضا: «المفروض في الفيلم أساسا أن يروي قصة عن طريق الصوت والصورة المسجلين على نحو ما يفعل الكتاب والراديو والمسرح وغيرها من وسائل رواية القصة، بطرق وأدوات مختلفة»[2].

أما ماري تيريز جورنو يعرف الفيلم (Film) «كلمة فيلم من الإنجليزية غشاء بلورة، تعني أولا بلورة التصوير الضوئي ثم الشريط المثقب المغطى بطبقة حساسة للضوء تسمح بتسجيل الصور وحفظها، ومن باب التوسع أصبحت تعني العمل السينمائي ومجموع الأعمال المنظور إليها حسب مجالاتها، كالفيلم الخيالي وفيلم المحفوظات»[3].

---

[1]– جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ص 206

[2]– المرجع نفسه، ص 206.

[3]– ماري تيريز جورنو: معجم المصطلحات السينمائية، ترجمة فائز بوشور، المؤسسة العامة للسينما، دمشق،دط، 2013، ص 45.

ويمكن تعريف الفيلم بأنه «شريط لدائني ضيق طويل تطبع عليه الصور السينمائية»[1].

وعلى غرار أنه ذلك الشريط الذي تطبع عليه الصور يعرف الفيلم السينمائي «بأنه عبارة عن سلسلة من الصور المتوالية الثابتة، عن موضوع أو مشكلة أو ظاهرة معينة مطبوعة على شريط ملفوف على بكرة، تتراوح مدة عرضه عادة من 10 دقائق إلى ساعتين، حسب موضوعه والظروف التي تحيط به»[2].

ب /الروبرتاج:

يشير الباحث نصر الدين العياضي في كتابه "اقترابات نظرية" إلى أن كلمة روبرتاج «مشتقة من الفعل الإنجليزي reporter وتعني نقل الشيء من مكان لآخر، أو بالأحرى إرجاع الشيء إلى مكانه أو أصله»[3].

ومن هنا يمكن القول أن الكلمة إنجليزية الأصل ويقصد بها لغويا إرجاع الشيء إلى أصله، لكن نتيجة لتعريب هذه الكلمة ظهرت العديد من الآراء المتشابهة حول تعريف الكلمة «ويتضح من خلال الجوانب النظرية لبعض المراجع العربية الأكثر تداولا في الجامعة الجزائرية وجود اختلافات مهمة لتعريف الروبرتاج وتصنيفه والهدف منه، إذ يظهر الاختلاف الأول في تسمية هذا النوع الصحفي، حيث يطلق عليه البعض اسم الروبرتاج... وهي الكلمة الموظفة في اللغة العربية ووضعت لها مرادفات أخرى

---

[1] – arm.wikipedia.comد.ت15.03.2024.23:00

[2] –www.moqatel.comد،ت15.03.2024.23:15

[3]– خليدة الشباري: محاضرات في مقياس فنيات التحرير، مجموعة4، جامعة الجزائر3، كلية علوم الإعلام والاتصال، ص 02.

كالاستطلاع، ويكمن الخطأ في الترجمة التي وضعت لكلمة الروبرتاج على أنه التحقيق الصحفي... في حين نجد فريقا آخر وخاصة الغربيين يرون بأن التحقيق نوع صحفي مخالف تماما للروبرتاج، فالتحقيق عند الفرنسيين هو Enquête»[1].

ومن خلال بعض التعاريف يظهر التضارب في تصنيف الروبرتاج من حيث كونه نوعا إخباريا أو تحليليا أو أدبيا، ويقود التسليم بهذه التعاريف إلى أن الروبرتاج نوع صحفي مزيج من كل ما سبق فهو يخبر عن الحادثة ويحلل حيثياتها وبعض جوانبها بالوصف والشرح، كما أنه يكتب بأسلوب أدبي كما قال نصر الدين العياضي «إن الأسلوب في الروبرتاج بنفس أهمية المضمون»[2].

وقد ترجمت هذه الكلمة بحيث «نقلت إلى اللغة العربية باسم بيان صحفي، نقل صحفي، لكن التوجه الذي هيمن ورسخ في الممارسة أكثر هو الاحتفاظ بالتسمية الأجنبية أي روبرتاج، لكن هناك من ينفر من استخدام هذه التسمية واستبدلها بمصطلح التحقيق»[3].

إذا فكلمة روبرتاج كلمة معربة لها ما يقابلها في اللغة العربية البيان الصحفي أو النقل الصحفي وهناك من يحبذ مصطلح تحقيق.

---

[1]– فاطمة الزهراء خراط مشتة: الروبرتاج الصحفي في عصر التكنولوجيا الحديثة لوسائل الإعلام والاتصال، دراسة حالة جريدة لوموند le monde الفرنسية (2008-2012)، مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 50، قسم علوم الإعلام، كلية الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، جوان 2017، ص 201.

[2]– المرجع نفسه، ص 201.

[3]– ليلى فرشة: مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية إعلام في مقياس فنيات التحرير في الصحافة المكتوبة، جامعة الأمير عبد القدر للعلوم الإسلامية، 2022، 2023، ص 63.

والروبرتاج يعتمد وبشكل كبير على شخصية الصحفي الذي يستطيع أن يصور الواقع ويعكسه بشكل محترف، فالروبرتاج هو ذلك «النوع الصحفي الذي تعتبر أكثر نبلا، لا يكتفي فيه الصحفي بتقديم تقرير عن الواقعة لكنه يترك شخصيته تتدخل في سرد الأحداث ومعالجتها»[1].

وعليه فالروبرتاج أحد أنواع التحقيقات الصحفية، يهدف إلى معالجة قضايا وإعطاء أخبار ومعلومات وتتدخل في ذلك شخصية الصحفي والتي تساعد بشكل كبير في إنجاح العملية الصحفية، كل هذا بأسلوب يعتمد على الجمالية والشفافية.

[1]- ليلى فرشة: مرجع سابق، ص 64.

ثانيا– الفيلم الوثائقي

تمهيد:

يعيش العالم يوميا تطورا علميا وتكنولوجيا متسارعا في جميع مجالات الحياة، وإذا ما تحدثنا عن عالم الإعلام، فلا يمكن حصر هذه التطورات المتتالية والمتداخلة، وخاصة ما تعلق منها بمجال التصوير الذي غزا جميع المجالات والميادين في الحياة، وجعل من العالم قرية صغيرة، فمن خلال آلة صغيرة أو ضغطة زر يمكنك معرفة كل شيء وفي أي مكان كان.

فالنظام السمعي البصري اليوم هو سلطة تفرض نفسها بقوة على جميع الأصعدة: السياسية، الاقتصادية، الثقافية، العلمية، وكذلك على صعيد التراث الشعبي، ومن بين أبرز الطرق لنشر المعرفة والحقيقة، نجد الأفلام على اختلاف أنواعها، فهي تعد محطة جذب للناس لما تحتويه من مواضيع تهم الفرد والمجتمع.

ولعل ما يكون أقرب إليهم هو الأفلام التي تعالج الواقع وتعرض الحقيقة وتنبش في أعماق التاريخ والحضارات والتراث، وهذه الأفلام هي محل دراستنا في هذا الفصل "الأفلام الوثائقية" التي تعد أداة مهمة تساهم في نشر الوعي والحقيقة والمعرفة وتوثيق الحقائق التاريخية، السياسية، والتراثية، والحضارية وغيرها.

وقد خصص بحثنا لنوع من هذه الأفلام الوثائقية وهو الأفلام الوثائقية القصيرة ومدى تأثيرها في مجال حفظ التراث ودورها في التعريف به ونشره وكشف الحقائق والوقائع.

1-نشأة الفيلم الوثائقي:

تعود نشأة الفيلم الوثائقي إلى «ما يقارب القرن ونيف وتحديدا عام 1895 أين ولدت السينما التسجيلية الوثائقية على يد الأخوين لوميير اللذين قدما عرضا مرئيا لمدة دقيقتين وبضع ثوان، يتضمن مقطعين بصريين، الأول بعنوان "وصول القطار إلى محطة لاسبوتات" والثاني بعنوان "الخروج من مصانع لوميير" وكان العرض يتحدث عن قطار يدخل المحطة، وفي نفس الوقت نرى عمالا يخرجون من المصنع بعد انتهاء عملهم»[1].

لقد كانت عملية التصوير عبارة عن «لقطات مفردة، لحظات سجلت على الشريط الحساس»[2].

من هنا نجد أن الأفلام الوثائقية كانت بداياتها عبارة عن لقطات منفردة ولكنها متصلة من حيث مواكبة الحدث، ولم تبق هذه الأفلام على ما هي عليه وإنما تطورت بتطور وسائل التصوير والتسجيل، وقد «تخصص العديد من السينمائيين في إنتاج الفيلم الوثائقي وبعضهم اشتهروا كرواد عالميين في هذا المضمار أمثال الأمريكي روبرت فلاهيرتي (1884-1951)، والسوفييتي، دزيغا فيرتوف (1895-1954)، والإنجليزي جون غريرسون (1898-1973)، والهولندي جوريس إيفانس (1898-1989)، وغيرهم»[3].

---

[1]- نهلة عيسى: الأفلام الوثائقية، منشورات الجامعة الافتراضية السورية، سوريا، 2020، ص 20. كتاب إلكتروني (pdf)، منشور على الموقع،
https://pedia.svuonline.org/pluginfile.php/2968/mod_resource/content/43/DO757.pdf

[2]- لؤي الزعبي:الأفلام الوثائقية، الجامعة الافتراضية السورية، وزارة التعليم العالي، ص 7، كتاب إلكتروني (pdf)، منشور على الموقع،
https://download1507.mediafire.com/jwfitp4tvbjgjyLEicjTPUlaKdaTj8ZZOMsOBjwLjQpilWYvLxXCR8snwELjC6GdoPqukSbtQp1bsIuBjI6UrP6hVdcUXQFWhh_j6I3NlNq5T62y2QwsUIPa8cNOVoHzr--2ohY85-vMii_HnUdwBbGl_nsV6U68vcp42i78YnueFfTR/do62c19xs6u9bvm/documentary-film_luay-zuaby.pdf

[3]- المرجع نفسه، ص 7.

فالفيلم الوثائقي كانت انطلاقته من الواقع من خلال رصده لأحداث بسيطة كما فعل الأخوين لوميير ومع بروز هؤلاء الرواد وغيرهم أصبح «يغلب على أفلامهم الطابع الإخباري وخاصة قبل سنة 1912، إلا أنهم استطاعوا توثيق الأحداث الحقيقية وتسليط الضوء عليها»[1]. فهذه الأفلام حملت طابع التوثيق منذ بدايتها وعملت على عرض الحقيقة وتسليط الضوء على العديد من القضايا، ونقل الواقع.

وقد ظلت الأفلام الوثائقية التي ترصد الواقع تتأرجح بين عدة تسميات، فقد «أطلق البعض على ما كانوا يصنعونه اسم "أفلام وثائقية"... وأطلق آخرون على أفلامهم "تعليمية، "واقعية" و"تشويقية"، وربما أشاروا إلى موضوع الفيلم مثل "أفلام الرحلات" وقرر الأسكتلندي جون جريسون أن يستخدم هذا الشكل الفني الجديد في خدمة الحكومة البريطانية، وصاغ مصطلح "وثائقي" بإطلاقه على عمل المخرج الأمريكي العظيم روبرت فلاهيرتي "موانا" 1926 الذي يؤرخ للحياة اليومية على إحدى جزر ساوث سيز»[2]. وبالتالي يكون جريرسون أول من أطلق مصطلح وثائقي على الأفلام التي تتناول الواقع.

كما أن التسميات الأخرى على اختلافها، تحمل من الواقع والحقيقة الكثير، وكل حسب المضمون والهدف الذي يصبو إليه، فمثلا أفلام الرحلات تنقل الواقع في أزمنة وأمكنة مختلفة ومع شعوب مختلفة، ويمكن من خلالها معرفة أوجه التشابه والاختلاف بين هذه الشعوب، ونقل موروثاتها، الشعبية والتعريف بها، وكذلك الأمر بالنسبة للتسميات الأخرى، فهي تحمل طابع التوثيق والواقعية، فالأفلام الوثائقية عموما «جزء

[1]– نهلة عيسى: مرجع سابق، ص 20.

[2]– باتريشيا أوفدر هايدي: الفيلم الوثائقي "مقدمة قصيرة جدا"، ترجمة شيمياء الدريدي، دار النشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2013، ص 11.

من وسائل الإعلام التي لا تساعد فقط على فهم عالمنا ولكن على استيعاب دورنا فيه»[1].

وقد ارتبط ظهور الأفلام الوثائقية كذلك «بالأحداث السياسية والحروب خاصة الحربين العالميتين الأولى والثانية، كما ارتبطت أماكن ظهورها ببعض الدول التي كانت طرفا في هاتين الحربين»[2].

وقد واكبت هذه الأفلام الاكتشافات الجغرافية مثل فيلم «للمخرج هوبرت بونج، اكتشاف سكوت للقطب الجنوبي»[3]، كما واكبت وعايشت الحياة اليومية للأفراد مثل فيلم «للمخرج روبرت فلاهيرتي "نانوك ابن الشمال"»[4].

ومع التطور العلمي والتكنولوجي المتسارع والتحولات التي شهدها العالم في مختلف الميادين، أصبحت الأفلام الوثائقية أداة قوية في أي ميدان توظف فيه، وقد ساعد في ذلك «ظهور المخترعات السينمائية والتقنية الجديدة، وتطور هذا الفن مع تطور المونتاج، ودخول الصوت كعنصر رئيس من عناصر الشرح والتفسير والإبداع في السينما، حيث اشتغل السينمائيون على الصوت لتحويله إلى سلطة باعتباره القول الحق، وتحويل الصورة إلى قوة تأثيرية كبرى»[5].

---

[1]– باتريشيا أوفدر هايدي: مرجع سابق، ص 12.

[2]– حامد معروف الزيات: الأفلام الوثائقية مصدر للمعلومة التاريخية، كلية الآداب ،جامعة بمها،شعبة النشر والخدمات المعلوماتية،فيفري 2018،ص16.

[3]– نهلة عيسى: مرجع سابق، ص 22.

[4]– المرجع نفسه، ص 22.

[5]– المرجع نفسه، ص 23.

فإضافة الصوت إلى الصورة ساهم بشكل كبير في إظهار الحقائق وتفسير الواقع وكان ذلك «عام 1927 وأغلبها من الأفلام القصيرة والقصيرة جدا، التي لا تتجاوز مدة عرض أي منها دقائق قليلة وبعضها أقل من دقيقة»[1].

أما في العالم العربي فقد نشأت السينما الوثائقية في وقت قريب من السينما الوثائقية الغربية حيث «شهدت تونس التي كانت تحت الاحتلال الفرنسي آنذاك، تصوير اثني عشر فيلما وثائقيا بواسطة أحد معاوني الأخوين لوميير عام 1896 وفي مصر ظهرت دار للعرض السينمائي في الإسكندرية للفرنسي "دولا جارن" الذي كان يلتقط بكاميرته السينمائية الكثير من المناظر للناس العاديين والآثار المصرية، ومن ثم يقوم بعرضها في دار العرض التي يملكها، كما كان يقوم بتصدير واستيراد الأفلام الأجنبية الوثائقية»[2]. فلم تخرج الأفلام الوثائقية عن تصوير الواقع اليومي للناس، والآثار والمناطق السياحية، أما في سوريا فقد كانت البداية الفعلية لهذه الأفلام «عام 1912 عندما عرض حبيب الشماس صورا متحركة في المقهى الذي كان يستثمره في دمشق في ساحة المرجة، حيث كانت آلة العرض تدار باليد»[3].

وفي الجزائر كان ظهور الأفلام الوثائقية متزامنا مع ظهورها العالمي حيث: «قام الأخوان لوميير بإرسال مجموعة من الفنيين إلى الجزائر لالتقاط صور ومشاهد لمناظر الطبيعة الجزائرية وصحرائها ومناطقها الريفية، وقام المعمر الفرنسي فيليكس مسيجيش سنة 1896 بتصوير مشاهد من مدينتي الجزائر ووهران وذلك في إطار الحملات الدعائية الاستعمارية لإغراء الأوروبيين بالاستيطان»[4].

1- سمير فريد،ومجموعة من الباحثين:كيف نفكر وثائقيا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص 100.

2- نهلة عيسى: مرجع سابق ، ص 6.

3- المرجع نفسه، ص 238.

4- الأيام نيوز، ت.د، 03-2024/15. 9،30 https//elayamnews.dz

فالبداية كانت كغيرها من البدايات في العالم عن طريق الصورة المنفردة لكن كان الهدف منها دعائيا الخدمة مصالح المستعمر الفرنسي، بعد ذلك عمل هذا الأخير على إظهار الجزائريين بصورة الضعفاء الهمجيين كما عمل كذلك على «تشويه سمعتهم في عيون الغرب من خلال الكثير من الأعمال مثل فيلمين للمخرج "ريغولو" : "المسلم المضحك" الذي ظهر سنة 1897 وكذلك فيم "علي يأكل الزيت"»[1].

وبالتالي لم تعرض هذه الأفلام الحقيقة كما يجب أن تكون، ولم ترسم الواقع الذي تقوم على أساسه الأفلام الوثائقية، إلى أن بدأت السينما الوثائقية الواقعية والحقيقية «على الرغم من أن ولادتها كانت صعبة إذ أنها ولدت في قلب الإعصار في قلب معركة التحرير»[2]. إلا أنها نقلت الواقع ومعاناة المناضلين والشعب الجزائري عامة حيث كانت البداية «في فترة الخمسينيات عندما اقترح رونييه فوتيي على قادة الثورة المشاركة بآلته في إخراج القضية الجزائرية إلى العالم... ظهرت مجموعة من الأشرطة التي صورت في الجبال تحت القصف وبين جموع اللاجئين إلى الحدود التونسية»[3]. وقد ساهمت هذه الأفلام الوثائقية بالفعل في عرض القضية الجزائرية أمام العالم.

2-تعريف الفيلم الوثائقي:

اندرجت الأفلام الوثائقية منذ ظهورها تحت عدة تسميات منها: الفيلم الثقافي، الفيلم التعليمي، الفيلم العلمي، أفلام الترفيه وغيرها وذلك لتعدد واختلاف مضامينها، وباختلاف التسميات اختلفت كذلك التعريفات والمفاهيم بين الهيئات والمنظمات

---

[1]- الأيام نيوز، د.ت، 03-2024/15. 9،30 https//elayamnews.dz

[2]- جان الكسان: السينما في الوطن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، الكويت، 1982، ص 216.

[3]- مجلة الكلمة، ت.د، 15،03/2024 10،00 www.alkalima.net>Red

العالمية كما اختلفت بين المخرجين والمنتجين والنقاد والسينمائيين، كل حسب اتجاهاته الفكرية ورؤيته الخاصة لهذه الأفلام.

2-1-تعريف الفيلم الوثائقي من طرف المنظمات والهيئات العالمية:

- **الأكاديمية الأمريكية لعلوم وفنون السينما والتلفزيون:**

تعرف هذه الأكاديمية الفيلم الوثائقي على أنه «الفيلم الذي يتعامل مع موضوعات تاريخية، أو اجتماعية أو علمية، أو اقتصادية سواء صورت وقت وقوع الأحداث الحقيقية أو أعيد بناء أحداثه الحقيقية وتجسيدها، إذ يكون تركيز الفيلم الأساسي على المحتوى الحقيقي أكثر من اهتمامه بالجوانب المتعلقة بالتسلية أو الفن السينمائي»[1].

- **معجم الفن السينمائي الدولي سنة 1973:**

يذهب معجم الفن السينمائي الدولي إلى أن الفيلم الوثائقي «نوع من الأفلام غير الروائية التي لا تعتمد على القصة والخيال بل يتخذ مادته من الواقع سواء أكان ذلك بنقل الأحداث مباشرة كما جرت في الواقع أم عن طريق إعادة تكوين وتعديل هذا الواقع بشكل قريب من الحقيقية الواقعية»[2].

- **الموسوعة البريطانية الجديدة:**

عرفت هذه الموسوعة الفيلم الوثائقي بأنه «نوع من الأفلام السينمائية غير الروائية؛ بمعنى أنه لا يتضمن قصة أو خيالا، وإنما يتخذ مادته السينمائية من واقع الحياة،

---

[1]- حامد معروف الزيات: مرجع سابق، ص 17.

[2]- المرجع نفسه، ص 18.

فيصور هذا الواقع ويفسر حقائقه المادية، أو يعيد تكوين هذا الواقع وتعديله بشكل يعبر عن الحقيقة الواقعية، هادفا إلى تحقيق غرض تعليمي أو غرض ترفيهي»[1].

- **الاتحاد الدولي للسينما الوثائقية عام 1948:**

عرف الاتحاد الدولي للسينما الوثائقية الفيلم الوثائقي بأنه: «كافة أساليب التسجيل لحقيقة ما سواء كانت بطريقة مباشرة أو إعادة تمثيل الحقيقة بصدق، بهدف حفز المشاهد على عمل شيء ما أو لوضع حلول واقعية لمختلفة المشكلات»[2].

كما تعد الأفلام الوثاقية من منظور «المدرسة الموضوعية أو الطبيعية أو الواقعية النوع الملائم لتصوير الحياة كما هي»[3].

من خلال هذه التعريفات نجد أن المنظمات والهيئات العالمية تشترك في تحديد مفهوم الفيلم الوثائقي: كونه فيلما يتخذ مادته من الواقع، جاعلا من الحقيقة أساسا لمحتواه والصدق والمصداقية مبدأ في التعامل ونقل الحقيقة وتصوير الحياة كما هي حتى ولو أعيد تجسيد الوقائع وتمثيلها فهو بعيد عن القصة والخيال له أهداف متعددة بتعدد موضوعاته.

2-2-تعريف الفيلم الوثائقي عند الكتاب والمخرجين السينمائيين الغربيين:

تعددت تعريفات الفيلم الوثائقي عند الغربيين من مخرجين ونقاد وكتاب حيث نجد أن:

1- لؤي الزغبي: مرجع سابق، ص 21.

2- كريم إبراهيم أحمد بدوي: فاعلية استخدام الأفلام الوثائقية في تنمية الفهم بالقضايا المعاصرة، مجلة كلية التربية، جامعة بورسعيد، العدد 13، جانفي، 2013، ص 493.

3- محمد أبراقن: ما هي السينما (السينما فن ولغة ووسيلة اتصال)، منشورات المبرقن،دط، الجزائر، ج1، ص 213.

- **جون جريرسون:** يعرفه بقوله: «هو المعالجة الخلاقة للواقع أو معالجة الأحداث الواقعية الجارية بأسلوب فيه خلق فني أو تناول للواقع في معالجة إبداعية»[1]، فأساس الفيلم الوثائقي من هذا المنظور هو الواقع وطريقة عرضه التي تعتمد على الإبداع والخلق الفني.
- **بول روثا:** يرى أن الفيلم الوثائقي: «تعبير عن حياة الناس ومعيشتهم كما في الواقع بأسلوب اجتماعي، وبطريقة خلاقة، حيث يسلط الضوء على الماضي ويشجع الحاضر ويثري ويغذي المستقبل»[2]، وهو بهذا التعريف يجعل من الفيلم الوثائقي غير مقتصر على الحاضر فقط، فيمكن من خلاله العودة إلى الماضي واستحضار الأحداث والوقائع وعرضها، إضافة إلى إعطاء فكرة عن المستقبل ورسم صورة له.
- **ويلارد فان دايك:** يضيف العنصر الدرامي في تعريفه للفيلم الوثائقي؛ حيث يقول: «في الفيلم الوثائقي تكون عناصر الصراع الدرامي هي في حقيقتها قوى اجتماعية أو سياسية، وليست صراعا بين شخصيات بعينها ولهذا فللفيلم الوثائقي صفة الملحمية، كما أنه لا يمكن إعادة تمثيله أو إعادة إنتاجه فهو يتناول مجتمعا واقعيا وأشخاصا واقعيين ومواقف واقعية وحقيقية، إنه باختصار يتعامل مع الواقع ذاته بما هو عليه»[3]. يعتبر فان دايك أن الفيلم الوثائقي هو ما نقل الواقع كما هو في زمانه ومكانه بكل صفاته الملحمية ودون أي تدخل من طرف صانع الفيلم، ما يجعل المشاهد وكأنه أمام الحدث مباشرة يعايشه بكل تفاصيله . ويشترك معه في إضافة العنصر الدرامي المخرج السينمائي الأمريكي بيير لورنتر الذي يقول: «فيلم يصور الواقع بشكل درامي»[4].

1- لؤي الزغبي، مرجع سابق، ص 16.

2- المرجع نفسه، ص 18.

3- المرجع نفسه، ص 19.

4- خليفي جورج: الفيلم الوثائقي، مركز تطوير الإعلام، ط1، فلسطين، 2014، ص 5.

يختلف ويلارد فان دايك في تعريف للفيلم الوثائقي عن تعريف الهيئات والمنظمات العالمية التي تعتبر أن الواقع يمكن إعادة تجسيده وتمثيله بينما يذهب هو إلى اعتبار أنه يجب أن يتعامل مع الواقع كما هو دون إعادة تمثيله أو إعادة إنتاجه.

- **باري هامب**: ترى الدكتورة نهلة عيسى أن المخرج الوثائقي بار هامب «هو أفضل من فصل في ماهية الفيلم الوثائقي عندما أكد على أهمية حركية الصورة بالقول "الكاميرا لا تجعل الصورة ممتعة، إنما فعل الناس هو ما يجعلها ممتعة" وانتقد الأفلام الوثائقية التي تعتمد على المقابلات لأن المقابلة لا تصنع الفيلم الوثائقية إنما ما يصنعه هو فعلهم وهم يمارسون حياتهم بالشكل الطبيعي، ومحاولة رصد المتغيرات المحيطة بهم، وردود أفعالهم التلقائية عليها وذلك بما يتفق مع موضوع الفيلم والهدف الذي يسعى إليه»[1].

وهو بهذا يتشارك مع ولارد فان دايك في وجوب اعتماد الفيلم الوثائقي على الواقع لا غير دون أي إضافات أو توجيهات أو مقابلات.

- **فيليب دين**: هو مخرج أمريكي يرى أن الفيلم الوثائقي «ينبع من حاجة محدودة أو واقع محدد لدى صانع الفيلم ويكون هدفه أن يستخدمه كسلاح فكري ضد كل من يريد المخرج الوثائقي أن يوجه له ضربته، إن الفيلم الوثائقي بالمعنى الواسع للكلمة هو في الأغلب سلاح من أسلحة الدعاية»[2].

إذن فالفيلم الوثائقي من هذا المنظور سلاح فعال يمكن استخدامه للتأثير المباشر أو غير المباشر على أي شخصية عامة كانت أو خاصة أو هيئة اجتماعية أو سياسية... كما أنه يعد أسلوبا من أساليب الدعاية والترويج لموضوع أو حدث معين.

---

[1]– نهلة عيسى: مرجع سابق، ص 27.

[2]– لؤي الزغبي:مرجع سابق، ص 20.

- **باتريشيا أوفدر هايدي**:ترى أن الفيلم الوثائقي: «أداة تواصل مهمة في تشكيل الواقع بسبب مزاعمها بأنها تجسد الحقيقة، فدائما ما يكون للأفلام الوثائقية: أساس في الحياة الواقعية، وتزعم بأنها تخبرنا بكل شيء »[1]. كما تذهب إلى اعتبار أن الفيلم الوثائقي «يروي قصة عن الحياة الواقعية، قصة تدعي المصداقية»[2].

من هذا المنطلق يكون الفيلم الوثائقي وسيلة هامة لنقل الحقيقة ولكنه لا يلتزم بالموضوعية التامة، حتى ولو كان ملما بمختلف جوانب تلك الحقيقة فهو يحاول نقل الواقع وإيصال الصورة كما هي، لكن لا بد أن تتدخل عناصر تقلل من مصداقية هذا الفيلم.

2-3-تعريف الفيلم الوثائقي عن الكتاب والمخرجين السينمائيين العرب:

- **مروان ياسين**: يذهب الباحث السينمائي مروان ياسين إلى تفصيل أكبر للفيلم الوثائقي من عدة جوانب بقوله: «هو الفيلم الذي يعتمد على تصوير أحداث الواقع المباشر الذي يجعل منه كاتب الفيلم موضوعا أو قصة وأبطاله هم شخصيات واقعية حقيقية، وحواره عبارة عن تعليق خارجي على الأحداث أو تعليق مع إجراء حوارات تلقائية، يتم تسجيلها مباشرة مع شخصيات من قلب الأحداث وديكوره هو المكان الواقعي الذي تتحرك بداخله الشخصيات الحقيقية، ويجري فيه الحدث في البر أو البحر، أو في القرية، أو المدينة، داخل أماكن مغلقة أو مفتوحة، وهدف الفيلم الوثائقي هو المعرفة والتنوير مع وجود متعة فنية خاصة به»[3].

---

[1]- باتريشيا أوفدر هايدي: مرجع سابق، ص 13.

[2]- المرجع نفسه، ص 10.

[3]- نهلة عيسى: مرجع سابق، ص 25-26.

فمن وجهة نظره يجب أن يكون الواقع هو الأساس على مستوى الشخصيات أو المكان، كما يمكن الاستعانة بالتعليق على أن يكون تلقائيا، سواء أكان مع إجراء حوارات أم دونها، وهدفه هو نشر المعرفة والحقيقة.

- **إبراهيم الزرقاني**: يرى الناقد السينمائي إبراهيم الزرقاني أن السينما الوثائقية «هي أعمال منجزة انطلاقا من مادة محددة تشمل على لقطات مصورة قريبة من الحياة المعاشة»[1].
- **هبة فتحي**: تعرفه على أنه «شكل مميز من الإنتاج السينمائي يعتمد أساسا على الواقع في مادته وتنفيذه ولا يهدف إلى الربح المادي بل يهتم بالدرجة الأولى بتحقيق أهداف ترتبط بالنواحي الإعلامية أو التعليمية أو الثقافية أو حفظ التراث والتاريخ أو هو معالجة خلاقة للواقع»[2].
- **إخلاص مهدي**: من وجهة نظر الكاتبة والدكتورة إخلاص مهدي هو «إحدى طرق تسجيل مظهر من مظاهر الواقع عن طريق التصوير المباشر أو بإعادة البناء المنطقي لتتماشى مع العقل والعاطفة من أجل إشباع الرغبة في توسيع المعرفة والإدراك وعرض المشكلات وخلولها بوضوح وذلك في المجالات الاقتصادية والعلاقات الإنسانية»[3].

فالفيلم الوثائقي من وجهة نظر هؤلاء المخرجين والكتاب والنقاد العرب يلتزم بالواقع ويعمل على نشر المعرفة على أوسع نطاق وعرض القضايا والمشكلات التي تعاني منها الشعوب ليس لأغراض شخصية وإنما لأغراض إنسانية في محاولة لإيجاد حلول ورفع الوعي والإدراك الإنساني المحلي والعالمي تجاه تلك القضايا، وليس الهدف من إنتاجه الربح المادي بقدر ما هو تصوير للواقع وطرح لقضية قصد المعالجة أو الحفظ والتوثيق.

---

[1]- علي جبران ،إيمان الحميدي: قراءة أولية للفيلم الوثائقي وأنواعه، مجلة الأكاديمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع13، سنة 2017، ص 154.

[2]- حامد معروف الزيات: مرجع سابق، ص 18.

[3]- المرجع نفسه، ص 17.

يتضح لنا من خلال التعريفات السابقة سواء الخاصة بالهيئات والمنظمات العالمية أو الكتاب والنقاد والسينمائيين العرب، والغربيين أن مصطلح الفيلم الوثائقي يعتمد على الحقيقة والواقعية في نقل الوقائع والأحداث أو توثيقها بالاعتماد على المعلومة أو الوثيقة الحقيقية أو الأصلية، وسواء كان ذلك من خلال التصوير المباشر كما هو أو من خلال إعادة تجسيد تلك الوقائع.

- يعتبر أداة هامة تعمل على نقل الحقائق التاريخية، والاقتصادية، والاجتماعية، أو توثيق للتراث أو المعالم على اختلاف أنواعها أو العادات والتقاليد سواء كانت مادية ملموسة أو غير مادية.
- توثيق لأصول الشعوب كما في فيلم "نانوك ابن الشمال" أو فيلم "اكتشاف سكوت للقطب الجنوبي" الذي يوثق للاكتشاف الجغرافي الهام للقطب الجنوبي، فهو ربط للماضي بالحاضر والمستقبل في كل ما يتعلق بالبدايات والانطلاقات الأولى.
- يعتمد على الموضوعية والابتعاد عن التزييف والتغيير حتى ولو أعيد تجسيد أحداثه فهو بهذه الصفة يبين لنا بالتاريخ والشهادة الحية كل ما حدث ويساعد في تسجيل التاريخ الحقيقي لكل ما يحدث كما يزيد من معلومات الجمهور الصحيحة في مختلف المواضيع.
- الفيلم الوثائقي باعتماده على الحقيقة فهو يبتعد عن الفيلم الروائي الذي يعتمد على الخيال والقصص غير الواقعية.
- الفيلم الوثائقي باعتماده على الحقيقة فهو يبتعد عن الفيلم الروائي الذي يعتمد على الخيال والقصص غير الواقعية.
- للفيلم الوثائقي هدف ورسالة يريد إيصالها للجمهور سواء كانت تعليمية، أم ترفيهية أم إعلامية أم اجتماعية أم دينية أم تراثية أم اقتصادية، أم سياسية...إلخ.

- يلتزم مخرج الفيلم الوثائقي بالحيادية وعدم إبداء الرأي في المادة التي يعرضها الفيلم، وقد يستعين بشخصيات واقعية عايشت الحدث أو كانت شاهدة عليه.
- الأفلام الوثائقية شكل من أشكال التعبير الفني الخلاق، عبر من خلاله الرواد الأوائل على رصدهم لجوانب وصور من الحياة اليومية استنادا على الواقع المعاش، وكانت مصدرا للمعلومات التاريخية في الكثير من الأحيان للدارسين والباحثين وهو ما نجده في الأفلام الوثائقية التي تم تصويرها إبان الثورة التحريرية الكبرى في الجبال وتحت القصف الفرنسي على سبيل المثال.

3-الفيلم الوثائقي القصير "تسمية القصير والمدة النموذجية":

تختلف الأفلام الوثائقية من حيث مدتها فنجد الطويلة والمتوسطة والقصيرة، وتطلق تسمية "القصيرة" على بعض الأفلام الوثائقية نظرا لقصر مدتها.

وتقدمه الباحثة ماري تيريز جورنو في كتابها "معجم المصطلحات السينمائية" بأنه «الفيلم الذي يكون طوله أقل من 1599 متر في الشكل النموذجي، وفي الممارسة العملية نميز القصير الذي يدوم أقل من ثلاثين دقيقة والقصير جدا أي أقل من أربع دقائق، أي أقل من 100 متر»[1].

ويوضح لؤي الزغبي أن المدة النموذجية للفيلم الوثائقي «يجب أن لا تتعدى الثلاثين دقيقة، فالهدف والمدة المتاحة والوقت المحدد أو المتاح للمخرج لتنفيذ العمل،إضافة إلى الميزانية، وظروف العرض المرتقبة كل ذلك يلعب دورا حاسما بالنسبة للمخرج في تحديد الزمن الملائم للفيلم وعلى معد الفيلم الوثائقي أن يراعي نقاطا عدة عند تحديده لطول الفيلم منها: الجمهور المستهدف وطبيعته وخصائصه، ومكان عرض

[1]- ماري تيريز جورنو: معجم المصطلحات السينمائية، ص 25.

الفيلم والميزانية المحددة لإنتاجه... أما الأفلام الوثائقية التي يتم عرضها في عروض خاصة وعلى جمهور محدد فيجب ألا تزيد عن عشرين أو ثلاثين دقيقة؛ لأنها إذا زادت عن ذلك أصبح من الصعب الجمع بين اثنين منهما في عرض واحد»[1].

من هنا نجد أن مدة الفيلم الوثائقي تتدخل في تحديدها العديد من العوامل خاصة وأنه كان يتم عرضه ضمن برامج خاصة لدور العرض، وبالتالي يجب أن تكون مدته قصيرة، ولكن موضوعه ومادته مركزة وواضحة حتى يتسنى للجمهور فهمه ومناقشة موضوعه.

4-خصائص الفيلم الوثائقي:

للفيلم الوثائقي مجموعة من الخصائص التي تميزه عن غيره من الأفلام ويكاد يجمع عليها الباحثون والمخرجون السينمائيون، وأبرزهم جون جريرسون الذي حددها فيما يلي:

1- الاعتماد على التنقل والملاحظة والانتقاء من الحياة نفسها، فهو لا يعتمد على موضوعات مؤلفة وممثلة في بيئة مصطنعة كما يفعل الفيلم الروائي، وإنما يصور المشاهد الحية والواقع والحقيقة، كذلك يعايش الأحداث أو الأشخاص أو الأماكن التي تشكل محور الفيلم.

2- مادة الفيلم تختار مباشرة من الطبيعة الحقيقية بكل مكوناتها (أشخاص، حيوانات، نباتات، ظواهر، أحداث...)، أي من واقع المكان دونما تأليف أو محاكاة.

---

[1]- لؤي الزغبي: مرجع سابق، ص 41.

3- تنظيم المادة الواقعية وتقديمها بأسلوب فني بمعنى معالجتها بأسلوب فني خلاق.

4- أشخاص الفيلم الوثائقي يختارون من الواقع الحي.

5- التفرقة بين الوصف المجرد والدراما أي التمييز بين الأسلوب بين الأسلوب الذي يقتصر على وصف القيم السطحية للموضوع والأسلوب الذي يكشف عن حقائقه وتفاصيلة بطريقة فعالة[1].

تعد هذه الخصائص هي الأساس منذ نشأة الأفلام الوثائقية ولكن مع التطور العلمي والتكنولوجي، واختلاف طرق التعامل مع الفيلم الوثائقي عما كان عليه سابقا وانطلاقا من مقارنته بأنواع أخرى من الأفلام وخاصة الفيلم الروائي أوردت الدكتورة نهلة عيسى في مؤلفها الأفلام الوثائقية عدة خصائص أخرى انطلاقا من «رؤى العديد من المخرجين والمنظرين أمثال أندريه يازان وروبرت فلاهرتي وغيرهما»[2]. والتي نورد أهمها فيما يلي:

- الفيلم الوثائقي يحاول توثيق الواقع حتى ولو اختيرت مشاهده ورتبت على نحو معين في مرحلة المونتاج، لكنها ليست مشاهد مفتعلة ولا مكتوبة مسبقا في سيناريو ولا يجسدها ممثلون.
- تقدم الأفلام الوثائقية سردا مفصلا –قدر الإمكان – للموضوعات والمعلومات والأحداث التي تتناولها ويعتمد فيها على شخص واحد وهو المخرج وأحيانا هو الذي يقوم بالتصوير.

---

[1]- لؤي الزغبي: مرجع سابق، ص 56.

[2]- نهلة عيسى: مرجع سابق، ص66.

- الفيلم الوثائقي لا يستطيع أن يعيد تصوير الحدث لأنه يحدث مرة واحدة حتى ولو كان مبنيا على مقابلات شخصية، ففي الغالب يكون المتحدث مرتجلا فلا يستطيع أن يعيد ما قاله بالضبط أما في الفيلم الروائي فيمكن إعادة تصويره لأنه مكتوب ومعد مسبقا.
- الفيلم الوثائقي الذي يرصد ويوثق الأحداث ويجمع الصور المختلفة لا يعنيه العائد المادي أو الربح، وإنما نقل الحقائق كما هي والدقة في التوثيق[1].

ويذهب الأرقم محمد الجيلاني في مؤلفه "المدخل إلى صناعة الأفلام الوثائقية إلى إضافة خاصيتين هامتين هما:

- يمكن أن نرى المستقبل البعيد أو أن ننظر إلى الماضي البعيد وأن نجعل الثواني تبدو وكأنها ساعات وأن نعالج قرونا في دقائق.
- هو أقوى وأكثر الفنون واقعية ومن الخطأ الظن بأن الفيلم الوثائقي لا يؤدي وظيفة الترفيه للناس[2].

من هنا نجد أن خصائص وسمات الفيلم الوثائقي تتلخص في الواقعية والصدق والحياد والموضوعية ونقل الحقيقة ونشرها، وتوثيق المعلومات والأحداث ونقلها من مصادرها الأصلية إن لم تكن عملية التوثيق مباشرة من موقع الحدث، هذا إضافة إلى الاعتماد على الشهادات الحية من طرف شهود عايشوا الحدث، أو شخصيات مشاركة فيه.

1- نهلة عيسى: مرجع سابق، ص 67.، (بتصرف)

2- الأرقم محمد الجيلاني: مدخل إلى صناعة الأفلام الوثائقية، شركة مطابع السودان للعملة الموحدة، الخرطوم،دط 2009، ص 10.

5- أنواع الأفلام الوثائقية:

تعددت أنواع الأفلام الوثائقية بتعدد موضوعاتها وأهدافها ووظائفها نذكر منها:

5-1-الأفلام الثقافية: هدفها نشر الثقافة العامة بين الفئات المختلفة في المجتمع من خلال عرض الموضوعات الفنية والاجتماعية والثقافية التي تعتبر وسيلة من وسائل تعريف المجتمعات بالثقافات المختلفة[1].

5-2-الأفلام الوثائقية السياحية: يعرض هذا النوع من الأفلام عروضا حول الآثار والمعالم السياحية، إذ يقوم بوظيفة الكشف عن القيم الجمالية والفكرية ويوسع آفاق التفكير عنه المتلقي عبر تزويده بمعلومات حول الحضارات والمعالم الأثرية الموجودة في العالم[2].

5-3- أفلام التوعية والإرشاد: يهدف هذا النوع من الأفلام إلى توضيح المعلومات اللازمة وتفسيرها لاكتساب المهارات وإثراء معلومات المتلقي وتوسيع آفاق تفكيره، من خلال عرض الأفلام وزيادة المعرفة، إذ يتم تقديم هذا النوع من الأفلام لجماعات العمال والفلاحين والتجمعات المهنية والحرفية بهدف توعيتهم في مجال العمل، وتزويدهم بالمعلومات من أجل تطوير حرفهم المهنية[3].

1- نهلة عبد الرازق: دراسة مضمون الأفلام التسجيلية الوثائقية في قناة الجزيرة، مجلة كلية الآداب، جامعة المستنصرية، العدد 98، القاهرة، ص 420.

2- المرجع نفسه، ص 420.

3- المرجع نفسه، ص 420.

4-5-أفلام الفن: تعرض هذه الأفلام الفنون التشكيلية وحياة الفنانين وترصد أعمالهم الفنية كالنحت والرسم والموسيقى وغيرها من الفنون الأخرى، إذ تنقل الواقع الذي يعيش فيه الفنان، وفي بعض الأحيان تقدم على شكل سيرة ذاتية إذ تتخذ موضوعات هذه الأفلام طابعا ثقافيا[1].

5-5-أفلام السيرة الذاتية: تعد أفلام السيرة الذاتية نوعا من الأفلام الوثائقية التي تحظى بشعبية هائلة فهي تسلط الضوء على شخص معين، متعهدة للمشاهدين، بأنهم سيتعرفون على شخص معروف بأنه مهم (سياسي، فنان، بطل رياضي) أو شخص ذي أهمية لا يشوبها شك (مخترع معروف...) أو شاهد على التاريخ[2].

5-6-أفلام الطبيعة: هي أفلام تتناول الحياة البرية والطبيعية عامة بحيواناتها ونباتاتها وكل مكوناتها «وقد أصبحت أفلام الطبيعة الوثائقية –التي يطلق عليها أيضا الأفلام البيئية، أو الأفلام الداعية إلى صيانة البيئة، أو أفلام الحياة البرية، أحد الأنواع الفرعية الأساسية، وجزء ثابتا من جدول البث وفئة ديناميكية، وتعرض وثائقيات الطبيعة، التي تبدو للوهلة الأولى مباشرة ومحايدة إيديولوجيا، افتراضاتنا بشأن علاقاتنا بيئتنا»[3].

5-7- الأفلام العلمية: يتصدر مصطلح الفيلم العلمي، كأحد الأنواع الأولى للفيلم الوثائقي ويتحدد مضمونه كمضمون ذي طابع علمي وبحثي، حيث كان هدف

1- نهلة عبد الرازق: المرجع السابق، 421.

2- باتريشيا أوفد رهايدي: مرجع سابق، ص 94.

3- المرجع نفسه، ص 115.

إنتاج مجموعة أنواع أفلام في كل مجالات العلم، تخدم وظائف تعليمية ودراسية، ومعرفية مختلفة[1].

5-8- أفلام الرحلات والاستكشاف: تسجل هذه الأفلام بعض المظاهر السياحية لمختلف مناطق العالم، بحيث يتم التعريف بتلك المناطق والأماكن السياحية وذلك بغرض نشر المعرفة والثقافة وغالبا ما تكون أفلاما ترويجية للسياحة والتجارة[2].

5-9- الفيلم الإثنوغرافي: هو فيلم عن الثقافات الأخرى، أو الشعوب الغريبة، أو العادات والتقاليد، وعلى ضوء هذا المبدأ يتفق واضعوا البرامج بالتلفزيون، على الأفلام الوثائقية التي تعمل على الترفيه والتسلية، سواء بأسلوب ساحر، أو صادم، من خلال مادة تتناول الشعوب الغربية[3].

فالفيلم الوثائقي الإثنوغرافي يعد أداة هامة وفعالة لمعرفة ثقافات الشعوب وتراثها بكل ما يحمله من عادات وتقاليد وطقوس وممارسات مختلفة وكما يمكن للفيلم الوثائقي أن ينجز بواسطة مخرجين محترفين فهو يمكن أن يسجل من طرف الأشخاص البسطاء، كما حدث في أمريكا اللاتينية حيث «تعلم الهنود البرازيليون استخدام الفيديو لتوثيق الثقافة التقليدية من خلال مشروع الفيديو في القرى، لقد استخدموه لإحياء الممارسات التقليدية... وفي حالات أخرى كان الهنود يروون أساطير ويسجلون شعائر لأهداف معينة مثل الحفاظ على المعرفة وتعزيز الوعي بثروتهم الثقافية»[4].

1- نهلة عيسى: مرجع سابق، ص 90.

2- كوبيي حفصة: الفيلم التسجيلي مقاربة مفاهيمية، مجلة الحقيقة، مجلد 17، عدد3، مستغانم الجزائر، 2018، ص 532.

3- باتريشيا أوفدرهايدي: مرجع سابق، ص 104.

4- المرجع نفسه، ص 113.

ورغم أن الأفلام الوثائقية الأولى لهؤلاء الشعوب وثقافاتهم كان ينظر لها نظرة دونية على أنها شعوب متخلفة ووحشية وبدائية إلا أن بعض الأفلام لاقت نجاحا باهرا مثل فيلم «نانوك 1922 وهو أول تجربة إبداعية لروبرت فلاهرتي... وأسس بواسطتها مسارا جديدا جعل من السينما أداة تنقل الواقع كما هو، أداة اكتشاف شعوب العالم البعيدة دون أن تسقط في احتقارها، أو دون أن تنطلق من رغبة في استعبادها واستعمارها»[1].

5-10- فيلم التراث: هو فيلم وثائقي يأخذ شكلا موضوعيا عن التراث الشعبي أو الحضاري أو الطبيعي من خلال القيام بالأدوار المنوطة به والتعريف والتوثيق للممارسات الاجتماعية: عادات، تقاليد، قيم الموروث الحضاري والهوية الثقافية لكل مجتمع ونقل التراث من جيل إلى جيل، وكذا تقديم صورة واقعية عن المجتمعات بتاريخها وتراثها وحضارتها ومعالمها وغيرها، يعتمد أساسا على الواقع الميداني، ويأخذ مادته من الواقع مباشرة، والرصد الحيادي الموضوعي والمبني على صور ووثائق موثوقة المصدر، وكذا الشهادات الحية، وبموضوعية[2].

يعتبر فيلم التراث وسيلة فاعلة وناجحة في التأريخ للتراث، يساعد على رسم صور وجوانب هذه المجتمعات وتوضيح عاداتها وتقاليدها وحضارتها وكذا الحرف والصناعات التقليدية داخل الحيز الزماني والمكاني المرتبط بها من خلال الواقعية والجمالية التي يمتاز بها عبر عرض الأحداث والوقائع كما يتجاوز بالمشاهد حدود الزمان والمكان[3].

1- ت.د.18،15/2024/04/03 <http،www.ahewar.org//>

2- إسلام عز العرب: فيلم التراث كوثيقة سينمائية لتثمين التراث وتعزيز الهوية العربية من خلال التظاهرات الثقافية، ضمن،
INTERNATIONAL JOURNAL OF MULTIDISCIPLINARY STUDIES IN HERITAGE RESEARC , VOLUME 4, ISSUE 1, EGYPT, 2021, p 69.

3- المرجع نفسه، ص 70.

يجمع فيلم التراث بين عدة وظائف منها: الوظيفة الثقافية، الإعلامية العلمية من خلال ما يقدمه من معارف ومعلومات تعد مجهولة بالنسبة للكثير من الناس حتى ولو كانوا من سكان تلك المنطقة التي صور بها الفيلم أو من أهل ذلك البلد.

انطلاقا من المادة التي يعتمدها هذا النوع من الأفلام وهي التراث على اختلاف أنواعه فإن له عدة مميزات تخصه دون غيره من الأفلام.

- **مميزات فيلم التراث[1]:**

- يتكون من مشاهد حية أو صور فوتوغرافية ومقاطع صوتية لأشخاص حقيقيين وأحداث واقعية.
- يستمد مادته من واقع المكان الذي يتم فيه التصوير، ومن الواقع الميداني لأشخاص حقيقيين.
- يبعث برسالة لفئة أو مجموعة معينة بهدف التأثير في المتلقي.
- اختيار وتنظيم المادة المستمدة من واقع الحياة وترتبها للمتلقي بأسلوب فني معتمد على الواقع والحقيقية.
- لا يهدف إلى الربح المادي بل يهتم بتحقيق الهدف الأساسي منه وهو تثمين التراث وتعزيز الهوية.
- يعد أداة مهمة في حفظ وتثمين التراث فهو يتناول موضوعات وظواهر متعلقة بالإنسان داخل مجتمعه.

[1]- إسلام عز العرب:المرجع السابق، ص 70.

يعد الفيلم الوثائقي في مجال التراث من أبرز الوسائل في العصر الحالي لتوثيق التراث صوتا وصورة، كما يعمل على نشره عبر وسائط متعددة مثل السينما والتلفزيون هذا إضافة إلى الوسائل التكنولوجية الرقمية الحديثة، لأن «الفيلم الوثائقي في مجال التراث هو الأمل الوحيد للحفاظ على هويتنا ضد عوامل السلب والنهب المعروفة التي يروج لها الآن فيما يعرف بالعولمة وخلافه فنحن إذا أردنا أن نوثق عاداتنا وتقاليدنا الشعبية، كعادات الطعام والزواج، وفولكلور الصيد في الوطن العربي، فإن الفيلم الوثائقي هو الوعاء الأمثل لذلك»[1].

من هنا نجد أن فيلم التراث يعمل على حفظ وتوثيق الموروثات الشعبية بأنواعها المختلفة، انطلاقا من العمل الفعلي في الميدان مع الأهالي وفي الأماكن الواقعية.

بعد مشاهدة فيلم التراث، يكون المشاهد قد تزود بموضوع هام وصادق، يمثل جزءا من حياة وواقع وحضارة مجتمع من المجتمعات، كما يتعرف من خلاله على حرف وصناعات تقليدية وعادات وتقاليد في طريقها إلى الاندثار.

6- الفيلم الوثائقي القصير والتكنولوجيا الرقمية:

6-1-الفيلم الوثائقي القصير للمنصات الرقمية:

مرت صناعة الأفلام الوثائقية منذ ظهورها بالعديد من التطورات والتغيرات، وذلك لمواكبة الثورة التكنولوجية العالمية في مختلفة مجالات الحياة، فلم يبق الفيلم الوثائقي

[1]- ت.د. 12:25/2024/04/17 http;//doc.aljaweera.net>Follow-up

القصير مقتصرا على شاشات السينما والتلفزيون، بل أصبحت له مواقع ومنصات رقمية عالمية للعرض.

الفيلم الوثائقي القصير للمنصات الرقمية «يعد ظاهرة جديدة ونموذجا حديثا من الأفلام الوثائقية، يعتمد اعتمادا كاملا على المنصات الرقمية في الوصول للجمهور، ويمتلك هوية مختلفة عن الوثائقي التقليدي، ويختلف عنه في إطاره الزمني أيضا، ويستخدم طرقا وإمكانيات جديدة لسرد الواقع وتوثيقه، ويمنح للجمهور خيارات تفاعلية كالإعجاب والتعليق والمشاركة»[1].

فالأرضية التي تعرض عليها هذه الأفلام الوثائقية وهي الأرضية الرقمية تعطيها مجموعة من المميزات التي لا تتميز بها الأفلام الوثائقية التي تعرض على شاشات السينما والتلفيزيون، ومن بين هذه المميزات نجد ميزة التعليق على الفيلم وإبداء الملاحظات والتعليقات،، وكذلك التعبير عن الإعجاب به أو عدمه إضافة إلى ميزة أهم بكثير وهي مشاركة هذه الأفلام مع أكبر عدد ممكن من الناس وبالتالي المساهمة الفعالة في نشره داخل وخارج حدود الوطن وبالتالي، فالفيلم الوثائقي للمنصات الرقمية «هو رؤية جديدة لمفهوم قديم الغرض منه هو توسيع النطاق مع ظهور تقنيات الإعلام الجديد وأشكال التواصل الجديدة»[2].

---

[1]– أنس الدويبي: الفيلم الوثائقي القصير للمنصات الرقمية، معهد الجزيرة للإعلام، 2020، ص 10.، كتاب إلكتروي (pdf) منشور على الموقع،

الفيلم الوثائقي القصير =pdf?title. الفيلم الوثائقي القصير/https،//institute.aljazeera.net/sites/default/files/2020-للمنصات الرقمية

[2]– هجيرة قويدري: الفيلم الوثائقي التفاعلي والبيئة الرقمية، مجلة الاتصال والصحافة، المجلد 9، العدد 01، 2022، ص 136.

6-2-خصائص الفيلم الوثائقي القصير للمنصات الرقمية[1]:

مع التطور التكنولوجي الهائل يوميا في المجالات الرقمية كان للفيلم الوثائقي القصير نصيب وافر فيها، وقد تميز بمجموعة من الخصائص التي تميزه عن الأفلام الوثائقية التقليدية التي تعرض على وسائل الإعلام والاتصال الأخرى.

أ/ الفعالية:

يمتلك الفيلم الوثائقي القدرة على إيصال الرسالة بشكل فعال، فهو باعتماده على شبكات التواصل الاجتماعي المختلفة، يضمن الوصول إلى شرائح واسعة من الجمهور في ظل الانتشار الواسع والنجاحات التي حققتها هذه الشبكات في السنوات الأخيرة، كما تضمن له عملية التبليغ للموضوع بشكل مرن وبطريقة أسهل، وأشمل من الوثائقي التقليدي الذي يعتمد على التلفزيون.

ب/ الاختصار:

تقوم فكرة الوثائقي القصير على الاختصار، فهو لا يختلف في مفهومه العام عن الوثائقي التقليدي لكنه يعتمد على إيصال الفكرة والرسالة بشكل مقتضب لا يخل بالمضمون وفي إطار زمني قصير كي يكون ملائما لشبكات التواصل الاجتماعي الحاضنة له.

ج/ سهولة الإنتاج:

يعتمد الوثائقي الرقمي على إمكانيات بسيطة مقارنة بالوثائقي التلفزيوني ويمنح الإطار الزمني القصير له مساحة لسرد الموضوع، بإمكانيات بسيطة وبفعالية كبيرة.

1- أنس الدويبي: مرجع سابق، ص 13، (بتصرف)

د/التفاعل:

يكون من خلال قدرة الجمهور على التعبير والتعليق والتفاعل بالإعجاب والنقد والمشاركة والقدرة على اختيار الوقت المناسب لمشاهدته وإعادة نشره.

6-3-المنصات الرقمية الملائمة لعرض الفيلم الوثائقي الرقمي القصير:

يعتمد منتجوا الفيلم الوثائقي الرقمي القصير على أرضيات (منصات) خاصة لعرض أفلامهم وذلك حسب طبيعة الفيلم ومدة عرضه.

المنصة الإلكترونية «عبارة عن بوابة ويب تهتم بتقديم الخدمات التفاعلية، التي تختلف وفق طبيعة ونشاط هذه المنصة إلى جانب المعلومات التي يتم تقديمها من خلالها أيضا، ويقصد بها المواقع الإلكترونية المخصصة للبث المرئي عبر الإنترنيت»[1].

أ/منصة فايسبوك:

من أكبر المنصات في العالم ويستخدمها أكثر من مليار وثلاثمائة مليون نسمة، تتميز بحضور كبير في نطاقات جغرافية واسعة وبانتشار كبير وسط فئات المجتمع المختلفة وخاصة الفئات الشعبية[2].

ب/ موقع يوتيوب:

يحتل المرتبة الثانية في قائمة المواقع الأكثر زيارة في شبكة الإنترنت، بعد محرك البحث قوقل ويحتل المرتبة نفسها عربيا فهو مناسب جدا المثل هذه النوعية من الأفلام[3].

---

[1]- لمياء فتحي ،صابر أبو النجا: المنصات الرقمية وأثرها على الدراما التلفزيونية، مجلة التراث والتصميم، مجلد4، العدد 19، فيفري، 2024، ص 120.

[2]- أنس الدويبي: مرجع سابق، ص 20 (بتصرف).

[3]- المرجع نفسه، ص 21 (بتصرف).

ج/منصة تويتر:

تتميز هذه المنصة بطبيعة مستخدميها الذين هم في الغالب من النخبة وصناع القرار، الأمر الذي يجعل منها منصة نخبوية، فملاءمتها للأفلام الوثائقية القصيرة تقوم على مدى التأثير الذي يشارك فيه هؤلاء النخبة من حيث التفاعل والمساعدة على اتخاذ القرارات المناسبة وإيجاد الحلول[1].

د/ أنستغرام:

هي منصة لتبادل الصور ومشاركتها في الأصل، وهي منصة رائجة على نطاق واسع في أوساط الشباب، وتوصف بالمنصة الصاعدة، وجمهورها هو الجمهور الأكثر بقاء والأطول عمرا، الذي يتضمن فئة المراهقين والشباب، وتحظى هذه المنصة بمكانة هامة عنه صناع المحتوى الرقمي ونظرا لهذه الأهمية، تم إدراج خدمة (IGTV) منذ عدة سنوات وهي تسمح بعرض ونشر ومشاركة مقاطع الفيديو في إطار زمني يصل إلى 60 دقيقة وهو ما يتناسب مع الوثائقي القصير[2].

يعد الفيلم الوثائقي القصير للمنصات الرقمية أداة فعالة جدا في الوقت الراهن، لما له من أهمية وقدرة على إيصال الرسالة والفكرة لأكبر عدد ممكن من الناس، وخاصة الشباب، ولعل الاعتراف بمدى هذه الأهمية يظهر جليا في لجوء العديد من القنوات الإعلامية لهذا النوع من الأفلام، إضافة إلى قدرته على جذب اهتمام المتلقي ورواجه

[1]- أنس الدويبي: مرجع سابق :ص 21 (بتصرف).

[2]- المرجع نفسه، ص 23 (بتصرف).

المستمر، وصلاحيته للمشاهدة في كل زمان ومكان لما يتميز به من خصائص بسق ذكرها.

7-أهمية الأفلام الوثائقية:

تعد الأفلام الوثائقية منذ ظهورها أداة هامة من أدوات نشر المعرفة، ورصد الحقائق وتتبع مصادرها، فالحاجة إلى اكتشاف هذه الحقائق، ونقل الواقع وعرضه على الناس، ومعايشة حياة الشعوب، والتعرف على ثقافاتها وتراثها، كان ومازال عامل جذب للناس، سواء المخرجين السينمائيين أو الهواة، هذا ويستمد الفيلم الوثائقي أهميته، من خصائصه المتعددة وأهدافه التي يقوم عليها، إضافة إلى التزامه بالواقعية والحقيقة والموضوعية، كما تتجسد أهميته كذلك في كونه:

- من بين أيسر الطرق لتوصيل المعلومات والمعارف إلى طالب العلم والمعرفة، لأنه أكثر تأثير كأداة تعليمية من الكلمة المكتوبة أو المنطوقة، فهو «يستخدم كأداة أو وسيلة تعليمية تعين المدرس أو المحاضر على شرح الدرس، وإيصال المعلومات إلى الطلاب وعرض الحقائق عليهم بطريقة سمعية بصرية شيقة تعين التلاميذ على فهم ما صعب عليهم فهمه من المواد والعلوم»[1]
- له أهمية كبرى كذلك في مجال التاريخ بشكل خاص ذلك لأن دراسة التاريخ تتطلب القدرة على البحث والتحليل والمقارنة للوصول إلى الحقيقة ولذلك فهو «يختلف اختلافا جذريا عن الأساليب التقليدية ولهذا التميز يجب أن يستخدم هذا الأسلوب لإجراء التحقيق التاريخي من خلال المناقشات، التقييم، المقارنة بين التغييرات

[1]- لؤي الزغبي: مرجع سابق، ص 46.

التاريخية، وباستخدام الفيلم الوثائقي في ذلك الإطار يشجع الطلاب على تطوير وممارسة التطبيق الحقيقي للمعرفة التاريخية، والتفكير التحليلي التقييمي، والقدرة على تفسير الآراء بوسائل الإعلام واكتساب مهارات الإقناع»[1].

- كما أن هذه الأفلام تنقل التاريخ وتوثق أحداثه بالزمان والمكان والأشخاص مثل الأفلام التي وثقت الحروب خاصة الحربين العالميتين الأولى والثانية، الثورة التحريرية الجزائرية...
- يملك قوة المثير والانتشار الجماهيري، ويرجع ذلك إلى ثرائه وسهولة إدراكه من قبل المتلقي لأنه يعتمد على الواقع[2].
- يرتكز على كل ما هو موضوعي وحيوي لهذا نجده ينقب في عالم حقيقي ويبحث عن أحداث حقيقة وقضايا واقعية وصراعات حقيقية وعوالم حقيقية ومشاعر حقيقية، دون ما هو من نسج الخيال، يرتبط أصلا بالموضوع الرئيس، وهدفه التمسك بالنزاهة في تصوير الأحداث الوقائعية لأن المصداقية هي جانبه الأهم.
- له دور في نشر ثقافات الشعوب وتعزيز الهوية الوطنية والقيم والأخلاق، وحفظ العادات والتقاليد ومختلف ما خلفته الأجيال السابقة من موروثات مادية أو لا مادية، إضافة إلى التوعية بمدى أهميتها ورمزيتها وأصالتها.
- يطرح العديد من المشكلات والقضايا ذات الطابع الإنساني أو السياسي أو البيئي أو الاقتصادي أو التاريخي والحضاري، ومحاولة إيجاد حلول لها.
- قصر مدة عرضه يمنحه سرعة في إيصال رسالته وبالتالي الفعالية والتأثير على المشاهد.

---

[1]- كريم إبراهيم أحمد بدوي: مرجع سابق، ص 494.

[2]- باتريشيا أوفدر هايدي:مرجع سابق، ص 12.

- يعد وسيلة اتصال بين الشعوب والحضارات ومن خلاله يمكن معرفة أوجه التشابه والاختلاف بينها[1].
- يعد عنصرا مكملا لما تملكه خزائن الدولة ومتاحفها ومكتباتها ومتاحفها من مواد التراث، إضافة إلى أهميته الكبرى في صيانته وحفظه وإعادة إحيائه.
- تتيح الأفلام الوثائقية طرق عمل أسهل بكثير مما كان معمولا به سابقا، أثناء عمليات جمع وتوثيق المعطيات في مجالات الأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا، ومن العوامل الأساسية التي تجعل هذه التقنيات مهمة جدا هو كون الأبحاث المنجزة لن تبقى محصورة في المجالات العلمية مثلما كان الحال عليه في السابق أي أنها لا تستهدف المجتمع العلمي فحسب... يمكن الوصول إلى جمهور أوسع بكثير من النخب العلمية والأهم من ذلك أنه متنوع[2].
- حماية التراث اللامادي من خلال الغوص في البيئة الأصلية له والحصول عليه من طرف أناس موثوقين وذوي خبرة ولهم معرفة ودراية حقيقية وصادقة بما توارثوه عن الأجداد.
- توثيق كل ما له علاقة بأصول الشعوب وحضاراتها وموروثاتها المختلفة من السرقات وعمليات القرصنة الممنهجة خاصة من طرف الدول التي تتشارك في بعض التفاصيل التراثية (مثل اللباس، الأطباق التقليدية، الزخارف على الرخام وعلى الأواني،

[1]–قيس الزبيدي و مجموعة من الباحثين: مرجع سابق، ص 49.

[2]– حسينة يوسفي، عزوز بن عمر: دور السينما في التعريف بالتراث اللامادي في الجزائر، مجلة آفاق سينمائية، مجلد 7، العدد 2، جامعة وهران، الجزائر، 2020، ص 560.

الزخارف المعمارية، الموسيقى، الأغاني الشعبية، الأشعار، والحرف والصناعات التقليدية المختلفة...).

- يعد عنصرا أساسيا وفعالا من عناصر تنشيط السياحة داخليا وخارجيا، وخاصة على شبكات التواصل الاجتماعي، فالأجانب يتعرفون على التراث والطبيعة والعمران والثقافة... من خلالها فيأتون للزيارة والاستكشاف.

من هنا:

نظرا للأهمية البالغة التي يحظى بها الفيلم الوثائقي والتي ذكرت أغلب عناصرها سابق وجدنا أن عامل الانتشار لهذه الأفلام يمكن أن يكون مرتبط بالأشخاص العاديين والهواة، مثل ارتباطه بالمخرجين والتقنيين المحترفين وبالتالي:

- يمكن للجهات المسؤولة في البلاد الاعتماد على المصورين الهواة للأفلام الوثائقية في اكتشاف العديد من الموروثات التي مازالت لم تكتشف بعد، كما يمكن لهؤلاء المصورين إعادة إحياء التراث في منطقة معينة بفعل نشره عبر شبكات التواصل الاجتماعي أو المواقع المعتمدة من طرف الدولة وهذا يزيد من أهميته ويبرز قيمته الحقيقية ويدفع إلى الاعتزاز به.
- مشاركة الأفلام الوثائقية الناجحة في التظاهرات المحلية والدولية يدعم نشرها والتعريف بما خارج حدود منطقتها وإظهار قيمتها الحضارية كما يظهر مدى ثراء تلك البلاد حضاريا ويفتح أعين الخبراء على تلك الموضوعات.
- من هنا يصبح الجمهور المتلقي لهذا الأفلام قد تزود بمعارف متعددة حول موضوعات متعددة ومن مناطق مختلفة قريبة من ثقافته أو بعيدة عنها، ويمكنه التأثير والتأثر بها،

ومعرفة المادة الأصلية للفيلم من المواد المقلدة التي تعرض في برامج ومواقع ووسائل أخرى كمثال عن مدى أهمية الفيلم الوثائقي القصير في التعريف بالتراث عالميا ومحليا، وكشف العديد من أشكاله وأنواعه التي ذهبت في طي النسيان، أو لم تكتشف بعد، قامت وزارة الثقافة والفنون الجزائرية سنة 2021 بتنظيم مسابقة للفيلم الوثائقي في التراث الثقافي تحت شعار "الفيلم الوثائقي ملتقي الذاكرة والصورة" من أجل توثيق ووصف ثراء وتنوع التراث الثقافي بعين السينما، حيث لا تتجاوز مدة عرض الفيلم ثلاثون دقيقة (30د) وخصصت المسابقة لمختلفة أنواع التراث المادي واللامادي (مسنوجات، طقوس دينية، أكلات شعبية، فنون شعبية...[1].

- تعزيز صفة المواطنة والإحساس بالانتماء الوطني وتجسيده على أرض الواقع قولا وفعلا، كما تعرفنا هذه الأفلام على كيفية حماية تراثنا الجماعي مع احترام بيئتنا.

8-وظائف الفيلم الوثائقي:

للأفلام الوثائقية العديد من الوظائف ذات الأهمية الكبرى في مختلف المجالات: الثقافية، التاريخية، التراثية، العلمية، وغيرها وهي تساهم في نشر المعرفة والتعريف بالقضايا الهامة في مختلفة مناطق العالم سواء كانت في الماضي أو في الحاضر ومن هذه الوظائف نذكر:

8-1- الوظيفة الإعلامية:

«تهدف إلى شرح المعلومات وتفسيرها وتعريف الإنسان بالبيئة المحيطة به. وهذه الوظيفة لها أهداف عدة، وهي تزويد الناس بمعلومات جديدة تفيدهم في الحاضر أو في المستقبل، حيث تساعدهم في تكوين رأي عام يؤيد المشاريع التي تقوم بها الدولة سواء

[1] -Algerie press service، http،//www.aps.dz>culture.16:30.12.3.2024ت.د

كانت اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية أو سياسية»[1]. فهذه الوظيفة تعد من أهم وظائف الفيلم الوثائقي المتمثلة في الإعلام وتقديم المعلومات والمعارف انطلاقا من الواقع.

8-2-الوظيفة التعليمية:

«تستخدم الأفلام الوثائقية استخداما فعالا في مؤسسات التربية والتعليم إذ تستخدم في مجال تعليم الطلبة وتزويدهم بكثير من المهارات والمعارف الجديدة وتساهم في إثراء المعلومات وتفسير المسائل المعقدة وإيضاحها»[2].

فالأفلام الوثائقية تخرج بالطالب من طريقة التعليم الكلاسيكية وتساعده على الفهم والتحليل بشكل أكبر من خلال المشاهدة والغوص في أعماق الفيلم الوثائقي لاستخلاص النتائج المناسبة.

8-3-التوثيق والتأريخ:

من الوظائف الأساسية للفيلم الوثائقي هي عملية التوثيق للحقائق والواقع وحياة الناس، «حيث يعرض فيها على المشاهدين حقائق فكرية وسمعية مرئية عن موضوعات أو أشخاص أو أحداث أو قضايا أو ظواهر أو وقائع آنية أو تاريخية واقعية يتحول فيها الفيلم إلى أثر أو دليل أو قرينة على وجود أو حدوث، أو كينونة أو فعل»[3].

1- نهلة عبد الرازق: مرجع سابق ،ص 417.

2- المرجع نفسه، ص 417.

3- نهلة عيسى: مرجع سابق، ص 142.

فالفيلم الوثائقي من هنا يعمل على تسجيل وحفظ الواقع بكل أحداثه وقضاياه وتوثيقه صوتا وصورة ليبقى هذا الفيلم فيما بعد بمثابة مرجع موثوق يمكن الاعتماد عليه والأخذ منه.

8-4-التقصي والتحري:

تؤدي بعض الأفلام الوثائقية وظيفة البحث والغوص في التفاصيل وكشف خبايا القضايا «في قصص بعض الأخبار، أو الأفراد، أو الأحداث المهمة، أو الوقائع أو الجرائم، أو الظواهر السياسية، أو الاجتماعية أو الاقتصادية وذلك بغية كشف ملابساتها أو حقائق عنها، كانت مغيبة أو محجوبة عفوا أو عمدا»[1]. وهذه الوظيفة تدعم مبدأ من مبادئ الفيلم الوثائقي، وهو نشر الحقيقة.

8-5- التسويق الاجتماعي والسياسي والاقتصادي:

«هي الوظيفة التي تستهدف إقناع المشاهدين بوجهة نظر، أو شخص، أو قضية أو مشروع، أو مؤسسة ما وتروج لقناعات الشخص أو أصحاب القضية أو المشروع أو المؤسسة وليس لقناعات صانع الفيلم»[2].

فهذا النوع من الوظائف، يجعل من الفيلم الوثائقي الذي يقوم عليها، موجها لخدمة مصالح معينة شأنه في ذلك شأن أفلام الدعاية والترويج التي تعتمدها الدول والحكومات والأشخاص.

1- نهلة عيسى: مرجع سابق، ص 145.

2- المرجع نفسه، ص 147.

الفصل الثاني

دور الفيلم الوثائقي القصير في حفظ التراث الشعبي الجزائري

أولا– العادات والتقاليد الشعبية:

يمارس الجزائريون الكثير من العادات والتقاليد في حياتهم اليومية أو في المناسبات المختلفة، من أعياد وأعراس، أو مواسم مثل: الحج، ورمضان، ومواسم الزراعة، والحصاد، وغير ذلك، وهي تختلف في بعض تفاصيلها من منطقة إلى أخرى، حسب الثقافة الشعبية المتوارثة لدى كل فئة من الفئات، ونجد من بين المناسبات التي تمارس فيها العديد من العادات والتقاليد، مناسبات الزواج (الأعراس).

هذا الميدان من ميادين التراث الشعبي سنبرزه بشكل كبير ودقيق من خلال ثلاثة أفلام وثائقية قصيرة تتناول أعراسا من مناطق مختلفة من الجزائر حملت كمًّا كبيرا من العادات والتقاليد الشعبية.

1–عادات وتقاليد الزواج (الأعراس):

– الفيلم الأول: أعراس عربية "العرس الشاوي"[1]:

يسمى بالعرس الشاوي نسبة إلى منطقة الشاوية بالجزائر «الشاوي هو من يمتهن رعي الغنم والبقر»[2]. ولفظة الشاوية أصبحت «بتوالي الأيام علما على الأشخاص وعلى مجموعة من القبائل توارثته جيلا بعد جيل حتى وإن لم يعد بعضها ملازما لحرفة الرعي»[3].

1– الفيلم الوثائقي، أعراس عربية "العرس الشاوي، بحث وإعداد يونس بورنان، سيناريو وإخراج محمد والي، مدير الإنتاج، خليل براهيمي، إدارة إنتاج الجزيرة الوثائقية، مهدي بكار"، 2009.

2– محمد المختار العرباوي: في جذور المسألة القومية، البربر عرب قدامى، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، ، ط1.الرباط، المغرب ، 1993، ص 242.

3– المرجع نفسه، ص 243.

فهذه التسمية مأخوذة من أصل ما كان يمتهنه أصحاب تلك المناطق مع مرور الوقت أصبحت اسما ملازما لأهاليها حتى ولو لم يمتهنوا رعي الغنم أو البقر، ومناطق الشاوية في الجزائر متعددة مثل باتنة، أم البواقي، خنشلة...

يعرض هذا الفيلم في بدايته المنطقة الجبلية بمنازلها الريفية في منطقة غوفي بولاية باتنة، حيث تبرز عراقة المكان من خلال الطبيعة والمباني بطريقة بنائها ومحافظتها على الطابع التراثي في الكثير من تفاصيلها.

تجتمع النسوة في منزل العرس للتنظيف والتحضير لهذه المناسبة السعيدة، ويعمل الناس في هذه المنطقة على استعارة ما ينقصهم من أواني وأفرشة من الأهل والجيران.

في يوم العرس تحضر النسوة إلى المنزل ويجتمع الرجال في الخارج، ومن عاداتهم «إحضار أهل العريس للعشاء (عشاء العروس) المتكون من: الذبيحة (خروف، أو تيس)، إضافة إلى مختلف مكونات أطباق هذا العشاء حتى (الطحين) الدقيق الذي لم يعد موجودا الآن»[1]. ويوصل إلى بيت العروس في المساء قبل العرس بيوم ، وكل ذلك مرفوق بزغاريد النساء والموسيقى والأغاني التقليدية الخاصة بهذه المنطقة.

عند أهل العروس يتم تحضير طبق البكبوكة، وهو أول طبق يتم تحضيره بعد ذبح الشاة، وفي يوم العرس يحضر طبق الكسكس (البربوشة) والشربة، والسلطة، كما توضع أنواع من الفواكه، وأثناء إعداد هذه الأطباق في المطبخ البسيط والمتواضع لأهل العروس، تعمل أمها – التي ترتدي لباسا تقليديا (القندورة) مرفوقا ببعض الحلي التقليدية – على تفقد الطعام من خلال تذوقه وإعطاء رأيها فيه

[1]– حميد بن سي عمر:المصدر السابق".

طبق الكسكس

طبق الزيراوي

يحضر في الأخير طبق الزيراوي وهو طبق حلو المذاق يقدم لأهل العريس وذلك «حتى تكون حياة الزوجين حلوة»[1]. كما تؤكد أم العروس على أن عادة تحضير طبق البكبوكة هي أساس عرس المرأة الشاوية .

أما فيما يخص الأواني المستعملة فيتبين من خلال الفيلم أن أهل هذه المنطقة مازالوا محافظين على عادات الأجداد حيث يتم استعمال الصحون والأكواب المصنوعة من الفخار أما ما زينت به جدران هذا المنزل فإما هو مصنوع من الخشب أو من الفخار، أو من الدوم وهنا يبرز التراث المادي العريق لهذه المنطقة.

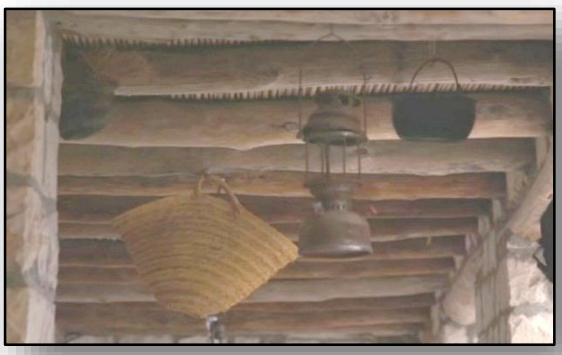

المظاهر التراثية في منزل العروس

[1]– نصيرة منصوري:المصدر السابق.

المظاهر التراثية في منزل العروس

يتم في عرس البنت ممارسة الكثير من العادات والتقاليد من بدايته إلى نهايته، سواء في الطعام أو اللباس، أو الموسيقى والأغاني والرقص، يأتي أهل العريس لتحنية العروس وإعطائها مهرها، وإهدائها مجوهرات مثل الخاتم أو العقد أو المحزمة وكل حسب قدرته، وهذه العادة ضرورية عندهم.

تستمر أجواء الاحتفال بالرقص والغناء والموسيقى حتى يصل وقت الحنة، حيث تخرج العروس باللباس لتقليدي الشاوي (الملحفة) مغطاة الرأس بقطعة قماش كبيرة ترافقها بنتان تحملان الشموع وخلفها النسوة تزغردن وتغنين، تجلس في المكان المخصص لها، فتضع لها أم العريس الحنة في يديها كما تضع قطعة من الذهب في كل يد (لويزة) وبعد الانتهاء من عملية الحنة توضع فوق قطعة القماش على رأس العروس الحلوى والمسكرات، ويوزع الباقي على الحاضرات وذلك حسب عاداتهم، ليأتي معها الخير ويدعو لها الجميع بالبركة والسعادة.

صورة لعملية وضع المكسرات

صورة لعملية الحنة

يقول حميد بن سي عمر عن عادة أخذ المكسرات (القشقشة) عند أهل الشاوية «كنا نأخذ الجوز واللوز والحلوى والبيض المسلوق واللحم اليابس (القديد) وتوضع كلها في صينية تحنية العروس»[1].

لكن أجزاء من هذه العادة قد اندثر وحلت محلها عادات أخرى، مثل عادة إحضار الكعكة، تقول أمر العروس «نزغرد ونغني "الحنة يا الحنينة جابوها الرجال ..." وتجتمع حولها العمات والخلات وأهل العريس»[2]. ولا يتوقف الغناء والموسيقى حتى تخرج العروس من بيت أهلها.

يبين هذا الفيلم كذلك أن هناك فِرَقًا نسوية مختصة في الغناء التقليدي وبأدوات موسيقية بسيطة وتسمى بالرحابة؛ حيث يضفين جوا مميزا وتتفاعل معهن جميع الحاضرات.

[1]– حميد بن سي عمر: المصدر السابق.

[2]– نصيرة منصوري: مصدر سابق.

صورة للرحابة

العرس الشاوي الخاص بالعريس مختلف عن عرس العروس، وقد دخلت عليه عدة تغييرات؛ حيث يبين الفيلم أنه يقام في قاعة حفلات مجهزة بمختلف الوسائل الحديثة عكس العرس التقليدي الأصلي الذي يقام في الساحات في الأحياء والقرى، والمداشر، أما الطبق الرئيسي الذي يقدم للمدعوين فهو إما الشخشوخة وإما الكسكس، ويقدم هو الآخر في أطباق تقليدية.

يعمل أصحاب العريس على مساعدته في تجهيز المنزل وتوفير مختلف المستلزمات، وتكون سهرة العرس بإحضار مطرب شاوي، يؤدي الأغاني التقليدية المصحوبة بالموسيقى التقليدية، وعن أهمية الأغنية الشاوية، يقول متعهد الحفلات «لها تأثير كبير على الجميع وهي مؤثرة ويحترمها الجميع ويرقص عليها أغلبهم»[1].

في اليوم الموالي تعمل الحلاقة على تزيين العروس وتلبيسها اللباس الشاوي ووضع الوشم الشاوي الذي «كان يستعمل لإظهار المرأة بشعة أمام المستعمر لكنه جعلها أجمل»[2]. وخارج منزلها تؤدي فرقة الرحابة الرجالية أنواعا من الموسيقى التقليدية ومصحوبة بطلقات البارود.

[1]– عادل طبنة: المصدر االسابق.

[2]– الحلاقة: مصدر سابق.

صورة للرحابة الرجالية

تعد فرقة الرحابة الرجالية أساسية وضرورية في العرس الشاوي وهي من صميم العادات المتوارثة ولم تبق مقتصرة على هذه المنطقة فقط، بل انتشرت في العديد من المناطق الأخرى، وآلة القصبة بما تصدره من موسيقى قوية ومؤثرة تكون موجودة في مختلف المناسبات.

صورة لفرقة الرحابة الرجالية

وقد قيلت فيها أشعار كثيرة منها:

علـــــى فـــــرخ لقصـــــب جبنـــــاه زهـــــو للنـــــاس

يـــــا مبهـــــاه ويقصـــــبلنا عطينـــــاه شـــــلطة بـــــالمواس

بـــــــــــــــالنفس غـــــــــــــــنى

هذا إضافة إلى البارود والخيالة، وهذه العناصر مجتمعة هي من صميم التراث الشاوي عند خروج العروس من بيت أهلها فإن الأب أو الأخ يرتدي البرنوس أو القميص الأبيض عند إخراجها، ثم يقبلونها كإشارة لتوديعها، وتذهب معها بعض النسوة والأم فقط.

عند خروج العروس ينتهي العرس في منزل أهلها، وعند دخولها منزل أهل زوجها تستقبلها والدة العريس عند مدخل المنزل وتضع قطعة من الزبدة على إصبع العروس لتضعها على المدخل أو على الباب، وهي عادة تمارس منذ القديم.

صورة لعادة وضع الزبدة في مدخل بيت العريس

«وهناك من يستقبلها بالتمر أو بالحلوى أو بوضع تاج على رأسها وترمى بحبات الحلوى لكي يأتي الخير معها»[1]، وكل ذلك مصحوب بزغاريد النسوة.

بعد ذلك ترتدي العروس العديد من الألبسة التقليدية الجزائرية مصحوبة بالحلي الخاص بكل لباس، وأولها الملحفة الشاوية وبعد ذلك تأتي الألبسة الأخرى مثل القندورة العنابية، القسنطينية... ويرافق كل لباس (تصديرة) الموسيقى والأغاني الخاصة بالمنطقة التي ينتمي إليها.

[1]– نصيرة منصوري: المصدر السابق.

صورة للألبسة التقليدية التي ترتديها العروس

وفي اليوم الموالي للعرس يقيم أهل العريس مأدبة غداء ويدعون إليها من بقي من أهل العروس وهي كذلك عادة متجذرة في هذه المنطقة.

من خلال تحليلنا لهذا الفيلم الوثائقي القصير، توصلنا إلى أن عادات الزواج المتمثلة في هذا العرس الشاوي متعددة ولها دلالات عديدة تصب في مجملها في أمنيات الخير والبركة، والسعادة، والرزق الوفير للعروسين، كما أن هذا الفيلم يبين لنا مدى ثراء تراثنا الشعبي في هذا الميدان، إضافة إلى تعريفنا به، وحفظه، وتوثيقه، فقد تمكنا من خلاله من معايشة أجواء هذا العرس بمختلف مراحله، لنكتشف ما يحتويه من عادات وتقاليد وكذلك عناصر من الفنون الشعبية والثقافية، والمادية، وأخرى من الأدب الشعبي سنعمل على عرضها فيما يلي:

- **العادات والتقاليد:**
  - أخذ العشاء لأهل العروس.
  - تحضير طبق البكبوكة، كأول طبق بعد ذبح الشاة.
  - تحضير طبق الزيراوي لأهل العريس.
  - الحنة ووضع قطعة من الذهب في يدي العروس.
  - وضع الزبدة من طرف العروس عند مدخل بيت العريس.

- لبس البرنوس الأبيض أو القميص الأبيض من طرف من يخرج العروس من بيت أهلها (الأب أو من ينوب عنه).
- وضع الوشم للعروس وهي عادة مستحدثة.
- لبس العديد من الألبسة التقليدية الجزائرية.
- إطلاق البارود.
- استدعاء أهل العريس لأهل العروس لمأدبة غذاء في اليوم الموالي للعرس.
- ومن العادات التي اندثرت نجد عادة وضع البيض المسلوق واللحم اليابس (القديد) في طبق الحلوى والمكسرات الذي يؤخذ للعروس.

- **الأدب الشعبي:**

نجد الأغاني الشعبية المختلفة، وكذلك أبيات من الشعر الشعبي الذي قيل حول آلة القصبة.

- **الفنون الشعبية والثقافة المادية:**

نجد أن هذا الفيلم الوثائقي القصير وظف العديد من عناصر الثقافة المادية والفنون الشعبية ذلك أن هذا العرس لا يكون مكتملا إلا إذا تم توظيف هذه العناصر لأنها تعد من أساسياته التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ حيث اشتمل على:

- الرقص الشعبي بنوعيه الرجالي والنسوي.
- الموسيقى الشعبية التقليدية.
- الآلات الموسيقية التقليدية.
- الأزياء والألبسة التقليدية.
- الحلي.
- الوشم.

- الأواني الفخارية والأطعمة التقليدية.

كما نجد أنه صور لنا العمارة التراثية الشعبية، بالعديد من تفاصيلها الداخلية والخارجية.

وفي الختام يبقى العرس الشاوي محافظا على العديد من العادات والتقاليد الشعبية المتوارثة من الأجداد رغم العصرنة والتحديث في الكثير من الجوانب الحياتية للمجتمع الشاوي.

الفيلم الثاني: أعراس عربية العرس التارقي–الجزائر[1].

وجهتنا في هذا الفيلم إلى الجنوب الجزائري لنتعرف على عادات وتقاليد التوارق، والتي نرصدها من خلال احتفالاتهم كالأعراس التي ترسم لنا ثقافة هذا المجتمع المحافظ، والطابع التقليدي المتوارث إلى غاية يومنا هذا، وعن عاداتهم وتقاليدهم اخترنا الفيلم الوثائقي "العرس التارقي"، فمن خلاله سنكتشف خبايا هذا المجتمع، وقبل ذلك سنتطرق إلى موطن هذا المجتمع وأصلهم وأهم ما يميزهم؛ حيث «ينتشر التوارق في الصحراء الكبرى ما بين حدود جمهورية مالي الشمالية الغربية مع موريطانيا إلى حدود السودان مرورا بشمال مالي وشمال النيجر وشمال تشاد وجنوب غربي ليبيا وجنوب شرقي الجزائر»[2].

أما عن أصولهم فيقول في ذلك ابن خلدون «هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون المواطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب أبعدوا في المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها»[3].

وللتوارق زي خاص يميزهم عن بقية الشعوب الأخرى، فهذه القبائل «يجمعها الزي شبه الموحد: القميص الفضفاض والسروال الواسع والحذاء العريض المصنوع من جلد البعير والعمامة الكبيرة ذات اللثام الضيف حتى أصبح هذا اللثام علما على التوارق فأسماهم العرب الملثمون»[4].

1- الفيلم الوثائقي، أعراس عربية العرس التارقي، الجزائر، بحث وإعداد، يونس بورنان، سيناريو وإخراج محمد والي، إدارة الإنتاج الجزيرة الوثائقية جمال الدلالي.

2- محمد سعيد القشاط: التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، الطبعة الثانية، 1989، ص 17.

3- المرجع نفسه، ص 20.

4- المرجع نفسه، ص 17.

يبدأ العرس التارقي بأول عادة ألا وهي استقبال الضيوف في غرفة خاصة يتبادلون فيها أطراف الحديث، والشيء المميز في الجلسات التارقية هو الشاي وهو دليل على إكرام الضيف وفي هذا السياق يقول السنوسي كرزيعة «يكون الاستقبال مبدئيا بعد حضور الضيوف المرحب بهم، ومن الملاحظ في هذه المنطقة حب الناس لإكرام الضيف إكراما مناسبا له ولمرتبته إذ يتم استقبالهم بالشاي المعروف لدى الجميع بثلاثة كؤوس»[1].

صورة تقديم الشاي

تبدأ طقوس العرس بنقل العريس إلى منزل بعيد عن مكان إقامة حفل الزفاف، على أن يبقى فيه بمفرده ليوم كامل، وفي اليوم التالي تبدأ مراسيم وضع الحناء له، حيث تقوم النسوة بطقوس الحناء مع ترديد أغاني خاصة، والعريس قبل ليلة الدخلة لا يتكلم ابتداء من بعد صلاة العصر إلى أن ينقل إلى مكان العقد.

1– 1– السنوسي كرزيعة: المصدر السابق..

صورة تمثل مراسم الحناء للعريس

في اليوم الموالي يكون هناك ما يسمى بتقديم الوكالة حيث يرسل والد العروس شخصا بالغا متزوجا إلى العريس ليسأله من توكله في عقد قرانك فيقول:

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد

أنا مرسول من طرف الجماعة، يسألونك من توكل في مراسم عقد قرانك.

فيجيب العريس كالآتي:

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد

وكلت الله ووكلت النبي ووكلت فلان (يذكر اسم موكله).

فيجيب المرسول: بالبركة إن شاء الله

صورة لعقد القران

ثم تنقل الوكالة إلى الشيخ وكذلك الأمر نفسه بالنسبة للمرأة حيث تؤخذ الوكالة من والد العروس يعطيها لمن يوكله كأخيه أو ابن عمه أو أحد من الأقارب حتى تعود إلى الإمام من جديد من أجل أن يجمع بين الوكالتين المتمثلة في وكالة العريس ووكالة العروس حيث تكون هناك طريقة دينية لائقة في عقد القران كاستحضار الأحاديث النبوية التي تشير إلى الزواج وأهميته.

وفي هذه الليلة تقوم البردة –وهي فرقة– تبلبيس العريس وتلاوة المدائح بمعية مجموعة من الشيوخ.

صورة لفرقة البردة

أما عن وليمة العرس فتنحر الجمال من أجل إكرام الضيوف وفي هذا الشأن يقول (السنوسي كرزيعة): «الجمل بالنسبة للتارقي يعتبر سفينة تنقل ،كما يعتبر رمزا من رموز الشهامة والشموخ، لا بد أن يكون حاضرا في جميع المناسبات ويتم نحره صبيحة يوم الخميس قبل العقد من أجل استقبال الضيوف وإكرام الحاضرين في تلك الليلة»[1].

[1]– السنوسي كرزيعة: المصدر السابق.

ويقسم الجمل إلى قسمين قسم يؤخذ إلى النسوة لطبخ المأكولات الخاصة بهن، وقسم آخر للرجال يطبخون به ما يسمى بالدوارة أو الطاجين أو ما يسمى بـ "تاربكات" هذه الأخيرة تعتبر أكلة خاصة بالمنطقة وذلك بطهي هذا اللحم ثم تهريسه بالمهراس ورشه بالشحم ويقدم إلى الضيوف وهو ساخن، وهذا ما صرح به، أحد الضيوف من أهل العريس.

صور لتحضير وليمة العرس

أما بالنسبة للعريس فيكون معه شخص أو أكثر يسمى بالوزير أو الوزراء وتكمن مهمتهم في خدمته لمدة أسبو أو ثلاثة أيام، حيث يوفرون له كل شيء، ويقفون إلى جانبه طوال هذه المدة لمساعدته في كل ما يحتاجه ويطلبه كإلباسه الملابس الجميلة وتلثيمه جيدا، إضافة إلى العمل على إكرام الضيوف.

صورة للعريس مع وزيره

أما بالنسبة لعرس العروس فتقوم وزيرة العروس بتجهيزها حيث صرحت عائشة غزالي قائلة: «مهمتي في هذا العرس هو التحضير له بدءا بدعوة القبائل لحضور حفل الزفاف، والحرص على تحضير العروس لحفل زفافها»[1]. تبدأ وزيرة العروس بالمجيء إلى بيتها لمدة أسبوع حيث تقوم بجميع ترتيبات الحفل، وعند اقتراب العرس تخضب الوزيرة يدا العروس بالحناء وتعمل على تزيينها وإلباسها أجمل الملابس والحلي، وتقوم بزفها إلى عريسها

صورة للعروس

[1]– عائشة غزالي: المصدر السابق.

ومن الملاحظ في المجتمع التارقي ارتباطه بالزعيمة التي يكون لها القرار في معظم الأمور وهذا ما صرحت به لوميدي أميتة «الزعيمة إيدابير رحيمة هي التي دعتنا إلى عرس أحفادها، وهي التي ربت العروسين تربية حسنة إلى أن كبرا على يد هذه المرأة العجوز، حيث أشرفت بنفسها على خطبة الفتاة للعريس وحصلت على موافقة أهلها، وبفضلها تم تحديد عقد القران، واليوم نحن ضيوف عند أهل العريس»[1].

ومن عادات العرس التارقي هي عادة النعايل أو اغتيمن، وهي عادة حميدة للحفاظ على صلة الرحم خاصة البعيدة.

والنعايل أو اغتيمن «هي منحة يقدمها العريس لأبناء عمات الزوجة، حتى يسمحوا لبنت خالهم بالمرور للدخول إلى زوجها، فهي مقرونة بنوع من النعال مصنوع من الجلد»[2].

صورة لعادة النعايل

[1]– عائشة غزالي: المصدر السابق.

[2]– زندي عبد النبي: الزواج عند إموهاغ كيل أهقار، دراسة وصفية لمراسيم الزواج في أهقار، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية: جامعة حاج موسى أخموك تمنراست (الجزائر)، ص 334.

أما بالنسبة لعرس العروس فيقام الحفل بفرقة "التيندي" في الخيمة المخصصة للعرس حيث يحضر أهل العروس، والمدعوات من النسوة وصديقاتها ويقمن بالاحتفال والغناء على أنغام آلة التيندي «وهي آلة تشبه آلة الهرس أو ما يعرف بالمهراس، حيث تصنع من الجلد وحبل خاص لضمان قوة صوت الآلة عند الضرب عليها وما يميز هذا الطابع الموسيقي هو أداء الأغاني بشكل جماعي ولا يقتصر ذلك على امرأة واحدة فقط»[1].

وفي هذه السهرة يجلس الرجال مقابل الفرقة الغنائية يستمعون إلى الموسيقى التندية، وفي بعض الأحيان يتم استعمال الجمال في الدوران حول الفرقة.

صورة الفرقة التندي

وبعد العرس تأتي عادة تيجلستين وهي عادة قديمة تتمثل في انتقال العروسين من عالم العزوبية إلى المكوث في خيمة العروسين لمدة اسبوع كامل بموكب كبير مع طابع غنائي تارقي ، والمعروف بمجموعة من التوصيات للعروس من اجل الحفاظ على زوجها وعلاقتهما .

[1]– الزهرة جكال: المصدر السابق.

صورة لخيمة العروسين

وعليه فالعادات والتقاليد هي رمز لثقافتنا وهويتنا ورمز لحضارتنا ومرآة عاكسة لأفكارنا ومجتمعنا ومعتقداتنا وهي جزء لا يتجزأ من موروث الأمة، والحفاظ على هذا الإرث الثمين هو الحفاظ لهويتنا وثقافتنا الشعبية واستمرار لنقل عاداتنا وتقاليدنا من أجل إحيائها، لأن هذه الأخيرة تحمل بين طياتها قيما وأفكارا بناءة، تدعو إلى الألفة والمحبة والتضامن والتكافل وإكرام الصيف ...إلخ، وهنا يبرز دور الفيلم الوثائقي كوسيلة فعاله في توثيق وحفظ هذه العادات والتقاليد وضمان استمراريتها ونقلها للأجيال القادمة.

الفيلم الثالث: العرس العنابي[1]:

تناول الفيلم أهم عادات وتقاليد سكان مدينة "عنابة"، فهو يعتبر رحلة نحو استكشاف الصورة الفنية الرائعة للتراث العنابي الذي تزخر به "بونا" والتي تتميز بطابعها الجمالي الأصيل وتقاليدها المتميزة، فالعرس العنابي لديه طابعه المتميز.

يبدأ التحضير لهذا العرس في بيت العروس وبيت العريس فبالنسبة لهذا الأخير يسمى بـ "يوم الفراش" وفيه يستقبل جهاز العروسة الذي تخرجه من بيت أبيها إلى بيتها الزوجي حيث يحضر الرجال إلى بيت العروس مصحوبين بالآلة الموسيقية الصوفية العيساوية عادة.

تتميز أفراح بونة أو مدينة عنابة بالموشحات، الطويلة المستوحاة من التراث الشعبي المدائح الدينية، المرفوقة بإيقاعات البندير والزغاريد.

كما تطرق الفيلم إلى مهر العروس، فعندما يتقدم أهل العريس لخطبة الفتاة، يسأل أهلها عن شروطهم فكانت الإجابة الشائعة "كل قدير وقدره" أي كل شخص وقدراته وأحواله المادية، إذا كان مقتدرا، ويستطيع أن يكرم، فأهلا وسهلا، وإذا كان محدود الدخل ولم يستطع تقديم الأفضل فلا يكلفونه فوق طاقته وهذا يتطابق مع الصداق الشرعي والذي يقدر عليه الفقير والميسور الحال، فالقيمة لدى المجتمع العنابي في مدى صلاح الزوجين.

وفي اليوم نفسه يجهز العريس، فيذهب رفقة أصدقائه إلى الحمام ثم إلى الحلاق في أجواء مليئة بالبهجة، ثم يتوجه العريس إلى بيته ويرتدي اللباس العربي التقليدي بالجبة والبدعية والبرنوس وهذا الأخير يجب أن يكون قديما يعود إلى أحد المشايخ أو الأئمة تبركا به، وعند الانتهاء من تجهيز نفسه يخرج إلى أصدقائه لتبدأ السهرة على أنغام الموسيقى، وهذا اليوم مخصص للرجال فقط، وتدوم هذه السهرة إلى غاية الفجر، ومن العادات العنابية القديمة

[1]- الفيلم الوثائقي، العرس العنابي، إعداد وتقديم مصطفى تادريست، إخراج، عز الدين كردي.

في آخر السهرة يخرج أصدقاء العريس والفرقة الموسيقية ويطوفون بالحي وعند عودتهم يقدم لهم طبق الفاصولياء وخبز الدار.

صور من عرس الرجل

أما بالنسبة للعروس فقبل يوم زفافها تقوم بـ "الخلوة" وهو حمام العروس، حيث يقوم أهلها بدعوة الأقارب والفتيات غير المتزوجات ترافقهن "الفقيرات" وهي فرقة غنائية تتكون من ثلاثة نسوة فما فوق، وفي هذا اليوم يتم إخلاء الحمام للعروس ومعازيمها، حيث يقمن بتجهيز العروس وتحضير مستلزمات الخلوة كالسابة والمحبس، والطفال وهذا الأخير هو مستحضر يقمن بتحضيره بالعطر والخزامة وتستحم به العروس والمعازيم إضافة إلى الطاسة التي تكون من النحاس والقبقاب الذي تدخل به العروس كما ترتدي العروس في هذا اليوم لباسا من ألبسة أمها أو جدتها أو خالتها إضافة إلى تزينها بأبهى الحلي

صور تمثل مستلزمات الحمام

وفي يوم عرس العروس أو ما يسمى بـ "يوم الحناء" يأتي أهل العريس إلى بيتها حيث يقام الاحتفال، حيث تقدم لهم الحلويات ويعزمون على مأدبة العشاء، وفي هذا اليوم تخضب يدا العروس بالحناء وتقدم لها مختلف الهدايا.

صورة تمثل عرس الزوجة

وقد رصد لنا هذا الفيلم أهم مظهر من مظاهر التراث ألا وهو اللباس التقليدي الخاص بالعروس العنابية، ونبدأ بأشهر هذه الألبسة التي تخيطها العروس لتأخذها في جهازها وهي:

قندورة القطيفة المصنوعة بالفتلة:

والقندورة «لباس تشتهر به مناطق الشرق الجزائري، وحتى الجنوب الشرقي وهناك نوعان:

القندورة القسنطينية (الفرقاني) نسبة إلى العائلة التي تقوم بتطريزها، والقندورة العنابية وتمتازان بقماش القطيفة أو الحرير»[1]؛ حيث تكون هذه القندورة مطرزة بأشكال من خيوط إما فضية أو ذهبية، وفي هذا الشأن يقول عبد الحميد بورايو «تفصل بشكل مخروطي من أسفل يضيق نوعا ما نحو العلو، تلبس تحتها صدرية تلتصق بها أكمام طويلة وعريضة من قماش الحرير الشفاف المقصبة أو المزخرفة برسومات فضية أو ذهبية أو ينسج لها أكمام من الخيوط الفضية أو الذهبية»[2].

والعروس العنابية عروس متميزة تشتهر بارتدائها سبعة قنادر بسبعة ألوان «للون في حياة الإنسان تأثير كبير مرتبط بمفاهيم معينة ويملك دلالات تراكمية متعددة، ومنذ العصور القديمة اكتشف الإنسان تأثير اللون على النفس البشرية»[3].

---

[1]- عبد الحميد بورايو: تطور لباس المرأة الجزائرية، دار النشر الجزائر، ط1، 2007، ص 100.

[2]- المرجع نفسه، ص 100.

[3]- العريفي راحيل: الدلالات الاجتماعية الرمزية، اللون في الخطاب الاجتماعي (السودان)، مجلة الثقافة الشعبية، المجلد 12، العدد 3146، يوليو تموز، 2019، ص 120.

واللون الأزرق «هو لون أثيري، الأكثر تجريدا بين الألوان، تقدمه الطبيعة بشكل عام كمظهر الشفافية، للفراغ المتراكم...»[1].

إذا فهو مصدر للأمان وللراحة، وإذا ربطنا بين اللباس واللون نجد أن هذا اللباس ترتديه العروس وقت الحناء، وارتدائها لهذا اللون الأداء طقوس الحنة هو تبشير لها بجلب الأمان والاطمئنان في حياتها.

كما نجد أن القندورة قد تكون باللون الأبيض أيضا وهو لون الطهارة والنقاء والصفاء، وهذا إن دل فإنه يدل على حسن خلق العروس واستقامتها وطهارتها.

والقندورة لباس يتميز بالحشمة والسترة، فهو يوحي بالأخلاق الحميدة والفاضلة.

ففي الفيلم الوثائقي "العرس العنابي" أحد الماشطات صرخت قائلة: «العروس عندما تخطب يخيط لها عائلتها سبعة قنادر، ترتديها في سبعة أيام، وتبقى الماشطة تلبسها حتى اليوم السابع»[2]، وهذا دلالة عن الكمال والتمام.

ومن بين الألبسة التي ترتديها العروس في يوم زفافها حسب الماشطة.

الدلالة: وهو اللباس الأول، التقليدي الذي ترتديه العروس إجباريا «يتكون من العديد من القطع أولها القندورة ويكون لونها الأساسي أبيضا أو أزرقا أو سماويا، وطرزها يكون في أصله غالبا من "الفتلة" أو "التل" لكن نجده في أحيانا أخرى بطرز الكوكتال.

---

[1]- كلود عبيد: الألوان،دورها، تصنيفها، مصدرها، رمزيتها، ودلالاتها، مراجعة وتقديم محمد حمود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2013، ص 81.

[2]- فيلم العرس العنابي، المصدر السابق .

يلبس فوق تلك القندورة "القاط" أو "قفطان" طويل مفتوح من المخمل يكون مطرز بالفتلة»[1].

ويعود أصل هذا اللباس إلى العهد العثماني، فالقفطان مثلا أصله تركي «ونلاحظ تشابها كبيرا بين ملابس المرأة الجزائرية وملابس المرأة التركية في إسطنبول سواء في ملابس الرأس أو ملابس البدن وحتى ملابس القدم، وفيما يتعلق بملابس البدن الخارجية فتميز بالتنوع، وأن أهم ما يميزها هو القفطان المصنوع من الأقمشة الحريرية كالوشي والديباج والحرير والكمخة والقطيفة»[2].

وهذه صورة مأخوذة من فيلم العرس العنابي تصور لنا القندورة والدلالة

صور تمثل القندورة والدلالة

[1]- نادية ملياني، أفراح ملياني: الدلالات والمعاني السوسيولوجية في لباس العروس بمدينة عنابة، مجلة المدونة، المجلد 09، العدد01، ماي 2022، ص 743-744.

[2]- شريفة طيان: ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 1990، 1991، ص 24.

وهذا الرداء مطرز بالفتلة «والفتلة هي عبارة عن خيوط من الذهب كانت تطرز على قطيفة جنوة برشمات وأشكال مختلفة»[1].

والجنوة: هو نوع من القماش سمي بهذا الاسم نسبة إلى مدينة خبوة الإيطالية، وبذلك أخذت المرأة العنابية خيوط الذهب وفتلتها وأدارتها فيما بينها وشكلت منها تطريزات تستر جسد المرأة بالكامل.

«فتنشئة الفتيات على هذه الضوابط والمعايير الأخلاقية هو تحضير لبناء أخلاقي للأجيال اللاحقة التي ستكون فيه تلك العروس ركيزة هامة في استقامته لأنها تعبر عن صورة نمطية للمرأة بذلك المجتمع»[2].

وفي الأخير نخلص إلى أن الفيلم الوثائقي "العرس العنابي" بين لنا الدور المهم لمثل هذه الأفلام الوثائقية في الحفاظ على تراثنا التليد وضمان استمراريته من خلال نقله للأجيال القادمة حتى يكون لهم مرجعا يستقون منه عادات وتقاليد بلادنا، ونخص بالذكر عادات وتقاليد مدينة عنابة لأن مثل هذه العادات تحاكي لنا خصوصية منطقة معينة وأهم ميزاتها، وقد بين لنا الفيلم أن المجتمع العنابي المتأصل بعاداته وتقاليده مجتمع محافظ متمسك بقيمه الإسلامية وتراثه الشعبي.

ويظهر ذلك جليا في احتفالاته المتوارثة التي تتسم بطابع ديني تصوره لنا تلك الأغاني الصوفية القائمة على المديح الديني والصلاة على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكذا تلك الممارسات التي تظهر من خلال إكرام الضيف إضافة إلى المظهر الذي لا يخلو من الحشمة سواء للعريس أو العروس.

---

[1] -https،//ar.m.wikipedia.org05.15.2024.12:15ت.د

[2]- نادية ملياني، أفراح ملياني:مرجع سابق، ص 748.

وعليه فدور الفيلم الوثائقي هنا يقوم على حفظ التراث الشعبي المتمثل في العادات والتقاليد والممارسات لنقله إلى أجيال المستقبل حتى نضمن تمسكه بمعالم ثقافته الشعبية المتوارثة، فتعمل الأفلام والوثائقية على غرس مبدأ التأصل والبعد عن شبح الهيمنة والغزو الثقافي، كما نجد أن الفيلم الوثائقي بين لنا دورا آخر والمتمثل في التعريف بثقافة المجتمعات وأهم عاداتها، وبذلك تمكن من رسم صورة معبرة عن المجتمع العنابي في خصاله وأهم قيمه وشيمه، وكذا تنوع طبوعه الثقافية الشعبية والتي تميزه عن غيره من المجتمعات الجزائرية، وبذلك قد تكون هذه الأفلام الوثائقية أحد أهم المحفزات للحفاظ على هذا الإرث.

كما اهتمت هذه الأفلام باللباس التقليدي وذلك بهدف حمايته، فهو مرآة عاكسة للهوية الجزائرية، وتسمو مكانته من كونه قطعا من القماش إلى وجه من أوجه التاريخ والإبداع الشعبي، لذا وجب علينا تثمينه وصونه من الضياع وضمان استمراريته.

ثانيا– الأدب الشعبي وفنون المحاكاة:

1–الحكاية الشعبية:

تعتبر الحكاية الشعبية من الأجناس الأدبية المحببة لجميع فئات الشعب، وهي جزء لا يتجزأ من موروثنا الشعبي، تحوي تجارب وعبر مصاغة في قالب قصصي يغلب عليه الخيال.

وتُعرّف الحكاية الشعبية على أنها "«قصة ينسجها خيال الشعب حول حدث مهم، إلى درجة أنه يستقبلها جيلا بعد جيل عن طريق الرواية الشفوية»[1]. فالحكاية الشعبية هي من نسج خيال الشعب، ولكنها تستند على حدث واقعي، وهذا ما يميزها عن الحكاية الخرافية.

وبما أن لكل أمة أو شعب من الشعوب حكايات شعبية خاصة به فالتراث الجزائري يزخر بالحكايات الخالدة التي مازالت تروى للتسلية وأخذ العبرة منها. وفي هذا الصدد نجد جدران القصبة بالجزائر تروي لنا أجمل وأشيق الحكايات الشعبية والتي تناولتها أحد الأفلام الوثائقية.

الفيلم الوثائقي: حكايات العابرين –فاطمة المعكرة– الجزائر [2]

خلال القرن السابع عشر وفي أحد قصور القصبة العتيقة، وُلدت هذه الحكاية التي يرويها أحد السكان الملمّ بقصص وحكايات هذه المنطقة، حيث كانت تعيش أُختان في قصر ورثاه عن أبيهما، وإحدى هاتين الأختين تسمى فاطمة المعكرة، ولقّبت بهذا الاسم لأنها كانت امرأة جميلة تخضب شعرها بالحناء فيصبح لونه أحمر كلون "المعكر" وهو احد

[1]– مسعد بدر: الحكاية الشعبية في بادية سيناء، دار ميتابوك للطباعة والنشر، ط1، 2022، ص14.

[2]– الفيلم الوثائقي، حكايات العابرين –فاطمة المعكرة– بحث وإعداد امينة سماتي، سيناريو وإخراج محمد والي.

أنواع التوابل، في أحد الأيام جاءت إحدى الجارات لتدق باب الأختان، فتحت فاطمة فطلبت الجارة شعلة فحم، فأعطتها ما تريد، لكن المرأة سرعان ما رجعت إلى بيت الأختين بحجة انطفاء الشعلة، فتكرر تصرفها عدّة مرات، هنا انتبهت فاطمة أن المرأة تريد شيئا آخر، فسألتها عن حاجتها، فأجابت الجارة أنها تحججت بالفحم ولكنها تريد شيئا آخر، فقد اشتمّت رائحة طبق "المثوّم" وهي امرأة حامل واشتهته، فطلبت فاطمة من أختها أن تعطيها قليلا من طبق المثوّم، لكن الأخت أجابتها بالرفض، وبعد عدّة محاولات باءت كلها بالفشل اقترحت على أختها أن تعطي الجارة ما تريد مقابل تنازلها عن حصتها في المنزل الذي ورثاه عن أبيهما، فوافقت الأخت على هذا الاقتراح وأعطت الجارة طبق المثوم، وانصرفت الجارة فرحة بالأكل الذي اشتهته، والأخت مسرورة بالحصة الجديدة من المنزل، وتوجهت فاطمة إلى غرفتها سعيدة بصنيعها الذي أدخل الفرحة إلى قلب الجارة الحامل.

صورة تمثل زيارة الجارة الحامل لبيت فاطمة

وبعد مدّة توجهت الأخت لغرفة فاطمة فدقّت الباب لكنها لم تجد ردًّا، فدفعت الباب فلم تستطع فتحه، وفي هذه الاثناء لاحظت خروج ماء معطر بالمسك من غرفتها، فخافت وهرولت مسرعة إلى جارتها، وقاموا بفتح الباب، وهنا وقعت الصدمة والمفاجأة،

وجدوا فاطمة ميتة، "من قتلها؟" وجدوها مكفّنة "من كفّنها؟"، مخضبة بالحناء "من وضع لها الحناء؟" "من الذي وضع شمعتين عند رأسها؟"، كل هذه الأسئلة تبادرت في أدهان النسوة، وكانت فاطمة في هذه الأثناء نائمة بسلام وكأنها ملاك يشعّ من وجهها النور.

وقد رأى مشايخ القصبة أنها رسالة ربانية، فقرروا أن يدفنوها في غرفتها

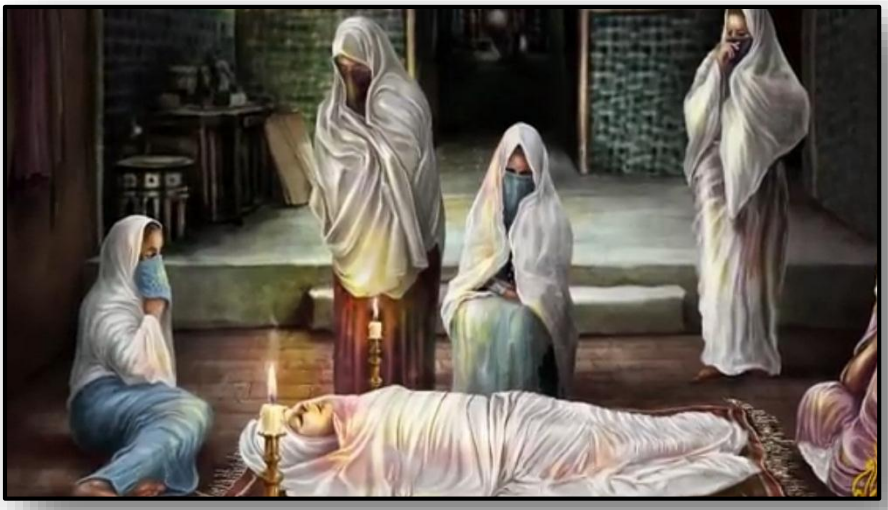

صور تمثل فاطمة لمعكرة بعد موتها

وهذا القبر مازال موجودا إلى حدّ الآن وهو قبلة للعديد من الزوّار.

وكما سبق وأشرنا في بداية تعريفنا للحكاية الشعبية بأنها حكاية خيالية تستند إلى وقائع حقيقية الهدف منها تلقين العبر والدروس للأجيال القادمة، فهذه الحكاية حملت بين طياتها عبرا ومعاني جليلة تدعو إلى ضرورة التحلي بمكارم الأخلاق كالجود والعطاء وهذه من أهم الصفات التي اتّصف بها العرب ونجدها في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُون﴾ [سورة الحشر الآية 9].

وعليه، فهذا الشكل الأدبي الشعبي له أهمية كبيرة وجب علينا الحرص على حفظه وتوثيقه، ليبرُزَ هنا دور مثل هذه الأفلام الوثائقية في الحفاظ على تراثنا القصصي الشعبي

الذي هو خلاصة تجارب المجتمع والتي تعتبر من أهم الدعائم في غرس القيم في نفوس أطفالنا وأطفال الأجيال القادمة، وصقل عقولهم من أجل بناء جيل سوي قوامه الأخلاق الحميدة التي تميزت بها أمتنا العربية الإسلامية والجزائرية بوجه الخصوص، فبمثل هذه الحكايات الشعبية نبني جيلا ينشأ على نبل الأخلاق، جيلا متمسكا بعاداته وتقاليده، معتزًّا بانتماءاته، جيلا يصعب زعزعته وزعزعة مقوماته العربية الإسلامية، ونلمس هنا دور الفيلم الوثائقي في التذكير بمثل هذه الحكايات الشعبية التي بدأت في الاندثار بسبب عوامل كثيرة أهمها الوسائل الحديثة التي جعلت كل فرد يعيش عالمه الخاص، في حين كانت الأسر الجزائرية قديما تجتمع لتحيي سهراتهم بمثل هذه الحكايات التي نشأ عليها الجيل السابق.

2-الأغنية الشعبية:

تعدّ الأغنية الشعبية أحد أنواع التراث اللاَّمادي وهي إبداع ذاتي تتبنّاه الجماعة لتعبر عن خلجاتها ومشاعرها، يمارسها المجتمع في مناسبات أو عادات كالزواج، الحصاد، الختان... إلخ، وتعرّف الأغنية الشعبية على أنها «شكل من أشكال التعبير الشعبي قوامه الكلمة واللحن ويغلب في كتابتها اللغة العامية واللهجة الشعبية المحلية لأي شعب كان، ولكل شعب أغانيه الشعبية الخاصة وهي جزء من شخصيته الروحية والثقافية والفنية»[1].

وبما أنّ الأغنية الشعبية شكل من أشكال التراث القولي التي طالما عبرت عن خلجات الشعوب وحملت بين ثناياها حكايات وأساطير وتجارب، فقد سعت الدول إلى تكثيف جهودها للحفاظ على هذا الإرث الثقافي ونقله للأجيال القادمة.

[1]- أكرم رافع نصر: الأغنية الشعبية في تراث جيل العرب، مشاركة إعداد فارس أبو الحسون، إخلاص ملاعب، موسوعة جبل العرب، ص5

وعلى ضوء ما سبق يستوقفنا فيلمان وثائقيان يرويان حكاية كل أغنية.

الفيلم الأول: "حكاية أغنية أفافا ينوفا" [1]

أغنية أفافا ينوفا أغنية قبائلية قديمة قام بأدائها المغني "إيدير" ومعناها "يا أبي إينوفا"، وهذا الفيلم بحث في ثنايا هذه الأغنية وفي كلماتها، وقصتها، وما تحمله من عادات وتقاليد لمنطقة القبائل... أما عن كلماتها فهي:

ثخلك إلي ان تبورث أفافا ينوفا

«تشنتش تزيقاثين ايمّ اِيللي أغريبة

أوقدغ أولان نكيني اِللي أغريبة

أمغر يذل دق وبرنوس ذي تسقا لا يزيزين

ميس نيجبر أي القوت... أوسان دق وقاروس تزين

تسلت زدفير أوزطة تسلاي تجبادين

أرش الزين ذي ثمغارث... أسن تسغر تقديمين

أدفل يسد ثبورا... ثوقيديثرن حجبن

ماذا أقجمور أن تأسفت... أدقر أكين إيدنيان

ملا لن دايت ونام... أي تمشهوت أودلاسن»[2].

أما عن ترجمتها للغة العربية ومعناها:

«أرجوك يا أبي إينوفا افتح لي الباب

---

[1]– الفيلم الوثائقي، حكاية أغنية"أفافا نيوفا"، بحث وإعداد خالد الدعوم ويونس بورنان، سيناريو وإخراج محمد والي، إدارة الإنتاج الجزيرة الوثائقية جمال دلالي.

[2] – word press. Com. https‹//tamzgha. Word press. Com13.06.2024.13:00ت.د.

آه يا إبنتي "أغريبة" دعي أساورك ترج

أخشى من وحش الغابة يا أبي إينوفا

آه يا إبنتي "أغريبية" وأنا أيضا أخشاه

شيخ متلفع في لباسه منعزلا يتدفأ

ابنه مهموم بلقمة العيش... يعيد في ذاكرته صباحات الأمس

والعجوز منداها دون توقف دون توقف تحيك الخيطان

والأطفال حولها يتلقنون ذكريات أيام الزمان

الثلج رابض خلف الباب والايحلولين يسخن في القدر

والأعيان منذ الآن بالربيع المقبل والقمر والنجوم مازالوا مختفون

حطبة البلوط تحل محل حصيرة الصفصاف

العائلة مجتمعة تستمع بشغف لحكايات زمان»[1]

وحسب تصريحات أحد حرفيات النسيج لاكروت غنيمة "أن أفافاينوفا قصة أسطورية امازيغية حولها إيدير إلى أغنية . وتدور أحداث هذه القصة حول البنت أغربية"، البنت الأكبر في عائلتها، بعد موت أمها وعجز أبيها قامت بتحمل أعباء ومسؤولية إخوتها الصغار ووالدها، حيث تستيقظ كل صباح قاصدة الحقول والغابات تجمع الحطب لهذا أو ترعى الغنم لذاك، وبعد عمل يوم مُضنٍ تعود أغريبة إلى بيتها قبل حلول الظلام تجنبا لوحش الغابة الذي يحلّ بالقرية متربصا بأهلها قارعا الأبواب باحثا عن فرائس، ويستهدف خاصة البيوت التي تتأخر الأمهات عن ولوجها إلى ما بعد المغرب، فمعظم ضحاياه من الأطفال، حيث كلما سمع صراخهم غيّر صوته ليشبه صوت أمهم أو أختهم البكر، فتنطلي عليهم الحيلة ويتمكن

[1] –Afayzane. Com. https://afyan.com13.06.2024.13:30.د.ت

منهم، وتفاديا للوقوع في الفخ اتفقت أغربية وأبوها "أنيوفا" أنه حتى يميزها عن الوحش ويفتح لها الباب وجب عليها أن تضرب الأرض برجلها حتى يسمع صوت خلخالها، وذات يوم تأخرت "أغربية" بسبب أن قطاع الطرق اعترضوا طريقها وسرقوا منها أساورها وخلخالها الذي كان كلمة السر بينها وبين أبيها، وعند وصولها منزلها طلبت منه أن يفتح الباب، فردّ عليها بضرورة تحريك خلخالها، فأخبرته أنه سُرق منها، هنا احتار الاب "أنيوفا" بين مصير أبنائه ومآل "أغربية" ابنته الوفية الكادحة.

تقول "لاكروت غنيمة": «أنّ الشيء الذي أتذكره عند سماعي لهذه الأغنية هي عاداتنا القديمة وكبار السن في ذلك الزمان، وموقد الحطب والفقر والصقيع خاصة عندما يتساقط الثلج، الأغنية تذكرني بالحطب الذي نرميه في النار، الفتاة تطهو الطعام فوق الحطب، باختصار يكمن تاريخ كامل بين أبيات هذه القصيدة»[1].

صورة تمثل الاجتماع العائلي حول موقد الحطب

وعليه، فهذه الأغنية لعبت دورا مهما في كونها مادة تعليمية للأسر، مفادها التعاون بين الرجل والمرأة لكسب القوت، فإن تعذّر على الرجل العمل أو كان دخله ضعيفا لا

[1]– لاكروت غنيمة: المصدر السابق.

يكفي لسدّ حاجيات الأسرة، تقف المرأة جنبا لجنب مع الرجل في تحمل مسؤولية البيت، كما نلمس روح التضحية من أجل الوالدين أو الإخوة في كلمات هذه الأغنية، ففتاة كغريبة" في مقتبل العمر، كان الأنسب لها الزواج، لكنها فضلت أن تخرج لتعيل عائلتها متحدية ظروف الحياة الصعبة، تاركة حلم أي بنت في الزواج والاستقرار.

كما ذكرت "لاكروت غنيمة" العلاقة بين هذه الأغنية وحرفة النسيج والذي هو عمل المرأة القبائلية «فخلال عملها تؤدي أغاني مختلفة، خاصة أغنية أفافا ينوفا، والمقطع الذي يقول فيه صاحب الأغنية: العروس خلف المنسج تشدّ المشابك... ومن هنا نجد العلاقة بين الأغنية وحرفة النسيج، والمرأة القبائلية تؤديها عندما تكون منهمكة في النسيج»[1].

صور لعمل المرأة في النسيج

وقد رصد لنا الفيلم مقابلة مع "محمد بن حمدوش" كاتب كلمات الأغنية التي غناها "إيدير"، حيث قال أنه التقى بهذا الأخير وطلب منه أن يكتب له مقطعين إضافيين مع الاحتفاظ بالكلمات الأساسية واللحن القديم للحكاية وإدخال بعض التطوير عليه، وكان ذلك خلال سبعينات القرن الماضي، وأكمل مردفا: «في سنة 1973، زمن التلفاز، وكان

[1]- لاكروت غنيمة: المصدر السابق.

التواصل يتم عن طريق الشاشات، وكنا نصطف نشاهد التلفاز، ولم نكن ندري حتى من يجلس أمامنا، فكرت في هذه الشاشة وفي طفولتي، وعن الكيفية التي تلقيت بها هذا التلقين، كنا نجتمع حينها حول نار الموقد، ونتبادل النظرات، الأطفال كانوا يعرفون آباءهم، وكذلك يعرف الآباء أطفالهم»[1].

وهنا يشير إلى أن في هذه الفترة دخل جهاز غريب عنا (التلفاز) أصبحنا نجتمع حوله ونشاهد باهتمام ما يصدر من هذا الجهاز، دون معرفة من أمامنا، وهنا إشارة إلى ولوج ثقافات أخرى إلى بيوتنا تلقن أطفالنا ثقافة غيرنا، في حين استحضر طفولته والكيفية التي تلقى بها مختلف خبرات الحياة، حيث وصف دور أفراد العائلة القبائلية في أغنيته «العجوز مكلفة بسرد الحكايات وزوجها يجلس مقابلا لها يستمع لها ويذكرها بتفصيل في الحكاية إذا نسيت ذكرها لأنه يعرف كل القصص التي ترويها، فهو يلعب دور الذاكرة، البنت تقوم بالنسيج، بعدما أدت أعمالها اليومية، حمّلت الحطب والماء وغيرهما... وفي المساء بعد طهي الطعام، تجلس خلف آلة النسيج، فهي تعمل أكثر من غيرها، وفي الوقت ذاته الذي تشتغل فيه خلف آلتها هي تسمع حكايات العجوز لأنها هي من ستستلم المشعل لاحقا، فهي معنية بنقل المعرفة أيضا»[2].

فالأغنية تراثية بالدرجة الأولى، استندت في مادّتها على التراث القبائلي ووصفت لنا الحياة القبائلية وجمالها قبل عصر التلفاز والهاتف والمواقع التواصلية، كما صورت عادات وتقاليد وحياة العائلات القبائلية وسهراتهم، فهي حملت لنا معاني التضحية والحب والدفء الأسري الذي كان بين العائلات قديما.

---

[1]- محمد بن حمدوش: المصدر السابق.

[2]- المصدر نفسه.

إن هذا الفيلم الوثائقي عمل على توثيق أهم الأغاني الشعبية التراثية الجزائرية ورصد لنا سبب كتابتها ومعانيها وكذا ما تحمله من رموز وعبر موجهة للأجيال القادمة، فحفظ مثل هذه الأغاني التراثية عامل مهم في تلقين الأجيال وتعليمهم أسس التماسك الأسري والأخلاق النبيلة والتي سبق وذكرناها، فهو بذلك لعب أدوارا مهمة، منها حفظ تراثنا وحكايات أجدادنا حتى نأخذ منها العبرة، كما أن التذكير بمثل هذه الأغاني يلعب دورا جوهريا في توعية شباب اليوم وأجيال المستقبل خطر ما يواجههم بسبب العولمة وتداعياتها السلبية التي حرمت الأسر الترابط العائلي والجلوس وإحياء السهرات معا.

وعليه، فاستمرارية هذا الإرث هو بطاقة ضمان للتذكير بعاداتنا وتقاليدنا وما يجب أن تكون عليه الأسر الجزائرية، كما أن توثيق مثل هذه الأغاني قد يكون مرجعا لكتاب أدب الطفل في نسج حكايات تعليمية من عمق تراثنا، فالأغنية تحمل عبرا وفوائد يستفيد منها أطفالنا كتعليمهم عدم فتح الباب للغرباء إضافة إلى قيم التعاون، والتكافل وتحمل المسؤولية وغيرها من الشيم سالفة الذكر.

وحتى أنها حكايات تُحكى لتهدئة الأطفال من البكاء لكيلا يكون مصيرهم كمصير الأطفال في الحكاية التراثية، فالفيلم الوثائقي يظهر دوره وفعاليته في تحوله إلى مرجع يستند إليه في استلهام قصص وحكايات من قلب تراثنا الجزائري عبرا بذلك عن هويتنا وثقافتنا.

الفيلم الثاني: "فيلم حكاية أغنية يا المنفي – الجزائر–"[1]

ومن الأغنية القبائلية العريقة نتوجه نحو عالم التاريخ والثورات الشعبية الجزائرية، هذه القضية القومية والوطنية التي لا طالما تبنتها الحناجر المضطهدة لتروي آلامهم ومحنهم ومعاناتهم أثناء الحقبة الاستعمارية الفرنسية، لتوثق هذه الأغاني تاريخ أمة نضالية رأت الويلات في سبيل استقلال وطنها، وهذا ما سنقف عليه من خلال الفيلم الوثائقي "فيلم حكاية أغنية يا المنفي –الجزائر–"، فكلماتها كتبها أسير جزائري خلّد من خلالها حكاية مأساة نفي فرنسا للجزائريين إلى كاليدونيا وكلماتها تقول:

«قولوا لأمي ماتبكيش... يا المنفي

ولدك ربي مايخليهش... يا المنفي

ويا داخل في وسط البيبان... يا المنفي

وكي داخل وسط البيبان... يا المنفي

والسباع هم الجدعان... يا المنفي

وأنا في وسطهم دهشان... يا المنفي

قولوا لأمي ماتبكيش... يا المنفي

ولدك ربنا مايخليهش... يا المنفي

كي دوني لدريبنال... يا المنفي

[1]– الفيلم الوثائقي، فيلم حكاية أغنية يا المنفي –الجزائر–، عمل صحفي عبد الرحيم بونمري، إخراج، بلال المازني.

جادرمية كبار وصغار... يا المنفي

والسلسلة توزن قنطار... يا المنفي

داربوني بعام ونهار... يا المنفي

قولوا لأمي ماتبكيش... يا المنفي

ولدك ربنا مايخليهش... يا المنفي

على الدّاخلة حفولي الراس... يا المنفي

وأعطوني زاورة وبيلاس... يا المنفي

وبيلفوا علينا العساس... يا المنفي

على الثمانية تسمع عساس... يا المنفي

قولوا لأمي ماتبكيش... يا المنفي

ولدك ربنا مايخليهش... يا المنفي

ياقلبي واش داك تعيب... يا المنفي

و السوبة دايما كيف كيف ... يا المنفي

والجالون معمرة بالماء... يا المنفي

والقرلو عايم فيها... يا المنفي

قولوا لأمي ماتكيش... يا المنفي

ولدك ربنا مايخليهش... يا المنفي

ولدك ربنا مايخليهش... يا المنفي»[1]

أغنية يا المنفي أغنية شعبية تراثية تداولها الجزائريون في الفترة الاستعمارية، وبالضبط في فترة الثورات الشعبية "حيث عرفت رواجا على المستوى المحلي والعربي وحتى العالمي، تروي فترة معينة من تاريخ الجزائريين، وهي ترحيلهم إلى كاليدونيا الجديدة قسرا بعد إخماد الثورات الشعبية كثورة المقراني"[2]. وهذا ما صرّح به الباحث والمؤلف الموسيقي سليم دادة.

ثورة المقراني

ثورة المقراني من أكبر الثورات الشعبية التي وقفت في وجه العدوّ وحققت عدّة انتصارات لكن بسبب عدم تكافؤ القوى انهزم المقراني وأنصاره فقامت فرنسا بأخذ المعتقلين الجزائريين ومنهم الشيخ المقراني والشيخ الحداد والسيد أحمد بومرزوق أخو المقراني وإبنا الشيخ

[1] –https://www.joumhouria.com art117.06.2024.13:30 ت.د

[2] – سليم دادة: المصدر السابق.

الحداد عزيز ومحمد إلى السجن بمدينة قسنطينة وحكم على الشيخين بخمس سنوات أما بقية الشباب المعتقلين فحكم عليهم بالنفي إلى كاليدونيا وهذا على حسب تصريحات كلا من "علي الشريف المقراني" أحد أحفاد المقراني و"شيخ المحروسة" وهو مؤلف وباحث في التراث الشعبي.

وهذه الأغنية قام بنظمها وكتابتها أحد المنفيين من المقاومة قبل نفيه إلى كاليدونيا، حيث يقول سليم دادة في هذا الصدد «لما نتناول الكلمات حقيقة نجدها لا تتناول الهجرة، بل تتناول خصوصا الدخول إلى السجن كالمحاكمة وحلق الشعر ومعاملة الدرك لهم والصراصير الموجودة في الماء الذي يشربونه. كل هذا يحكي معاناة السجين لا معاناة المهاجر»[1].

[1]– سليم دادة،: المصدر السابق.

ويؤكد هذا القول شيخ المحروسة بقوله «هذا يدلّ على أن هذه القصيدة كتبت في الفترة التي قضاها في السجن في قسنطينة قبل ترحيلهم إلى كاليدونيا»[1].

فهذه الأغنية ولدت كلماتها من رحم معاناة السجناء المكبلين بالسلاسل وعبّرت عن الحزن والألم والمعاناة العاطفية وهم بعيدون عن عائلاتهم، فأغنية "يا المنفي" لم تعبّر عن المعاناة الذاتية، بل هي تعبير عن الذاكرة الشعبية للسجناء الذين ينتظرهم النفي إلى كاليدونيا.

صورة تبين المنفيين إلى كاليدونيا

[1]- شيخ المحروسة: المصدر السابق.

وقد ردّدت ألحان هذه الأغنية في شوارع الجزائر وجبالها أثناء الثورة التحريرية وكذلك بعد الاستقلال لأن كلماتها لها صدًى كبيرا على قلب الجزائريين تذكرهم بتاريخ بلادهم وأمجاد مجاهديها وتضحياتهم وأول من غنى هذه الأغنية ووضعها في قالب غنائي موسيقى هو "آكلي يحياتن" حيث كان سجينا نهاية الخمسينات وبداية الستينات في سجون الاستعمار، فكان أداؤه لها نابعا من عمق المعاناة لأنه يعيش حياة السجين المضطهد، وعلى حدّ قول "سليم دادة" "أنّ هذه الأغنية قام بأدائها العديد من العرب، فأصبحت الأغنية ليست فقط رسالة الجزائريين، لكن أيضا لسان حال الجاليات العربية في المهجر.

وعليه، فتوثيق مثل هذه الأغاني الشعبية عن طريق الصورة (الفيديو) له تأثير على الفرد الجزائري وتحريك وجدانه، وتجعله دائما في صلة بتاريخه، فهذه الأفلام تعدّ وثيقة تاريخية تروي أحداثا إبان الحقبة الاستعمارية، فقد كانت الأغنية الشعبية مواكبة لحياة الأمة، تعبر عن أفكارها ومنازعها وتصور مشاعر شعوبها وتطلعاتها، فهي عنصر هام من ثقافتنا الشعبية، ظلّت المرآة الصادقة التي لم تعبث بها يد الاستعمار.

ثالثا–الفنون الشعبية والثقافة المادية:

1- الحرف والصناعات التقليدية:

تعد الجزائر من بين الدول التي تزخر بكم هائل من الموروثات والحرف والصناعات التقليدية المتوارثة منذ عصور قديمة، وهو ما أثبتته الدراسات والاكتشافات في مجال التراث عامة، والتراث الشعبي بشكل خاص، منها ما وجد في الكهوف والمغارات، ومنها ما كان عبارة عن نقوش أو رسومات على الصخور، وتتنوع الحرف والصناعات التقليدية في بلادنا بتنوع المناطق واختلاف الطبيعة والتضاريس والثقافة الشعبية، في كل منطقة وهو ما أنتج تنوعا وثراء في المنتوجات والمواد المستعملة في صنعها، وهو ما سنعمل على عرضه في الأفلام الوثائقية القصيرة التالية:

الفيلم الأول: صناعة الفخار والخزف في الجزائر [1]:

الفخار هو «كل شيء صنع من الصلصال–الطين–ثم أحرق بالنار بعد جفافه، ويكتسب طبيعة جديدة وكيميائية تغير لونه، ويتحول إلى جسم صلب مسامي له رنين، ولا يمكن إرجاعه إلى الحالة الطينية الأولى مرة أخرى»[2]، فصناعة الفخار تحمل ثقافة الفرد وتبين مدى تأثره بمحيطه وبيئته، وتعرضنا كذلك بطبيعة المنطقة وطبيعة المواد المتوفرة فيها.

يستهل هذا الفيلم عرضه لهذه الصناعة التقليدية العريقة بعرض نماذج لأوان فخارية تعود لحقب زمنية بعيدة وهي متعددة الأشكال والألوان والزخارف، حيث يتبين من كثرة

1- الفيلم الوثائقي ، صناعة الفخار والخزف في الجزائر، إعداد وإخراج، محمد أوجدوب، تعليق عبد النور شلوش، ، إنتاج التلفزيون الجزائري، جوان 2001.

2- أحلام عماري وسهام وناسي: صناعة الأواني الفخارية لدى المرأة الأمازيغية، بمنطقة مشونش، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والثقافية، مجلد 14، العدد2، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 2022، ص 128.

وجود المصنوعات الفخارية أن الإنسان اعتمد منذ القدم على الطين كمادة أساسية لصنع الأدوات التي يحتاجها أكثر من أي مادة أخرى.

صور لفخاريات من العصور القديمة

يسمى الفخار بالإغريقية كيراموس وبالإنجليزية سيراميك، ومن خلال هذا الفيلم نتعرف على الطريقة التي اعتمدها أجدادنا في صنع الآنية الفخارية، والتي ظلت متوارثة بين الأجيال حتى وصلت إلينا ومازالت معتمدة حتى يومنا هذا في العديد من المناطق الريفية والجبلية حيث تتمثل مراحل صنع الآنية الفخارية في:

1- إحضار مادة الطين من الجبال على شكل قطع ثم وضعها في إناء كبير ثم مزجها بالماء حتى تصبح طرية.

2- نقلها بالتدريج إلى إناء أكبر أو طاولة خشبية أو حجرية وعجنها يدويا من طرف المرأة الريفية بالزي التقليدي الجزائري القبائلي حتى الحصول على عجينة يسهل تشكيلها.

3- تشكيل الآنية بكل سلاسة وإتقان ثم تركها لتجف تحت أشعة الشمس.

4- طلاء الآنية بمزيج من الماء والطين (يكون سائلا) ثم تعديل الحواف بأداة بسيطة، وبعد ذلك إعادة ترطيبها باليدين باستعمال مزيج آخر من الطين والماء.

5- تزيين وتلوين هذه الآنية بمواد بسيطة.

6- تحضير موقد النار باستعمال أغصان وأعواد يابسة جلبتها على ظهرها من الجبال حيث تصنع جزءا منها ثم تضع الأواني الفخارية ثم تغطيها بطبقة أخرى من الحطب ثم تشعل النار وبعد ذلك تزيد من اشتعالها بإضافة طبقات مجففة من روث الحيوانات.

تبقى تلك الأواني حتى تنطفئ النار، فتخرجها وبذلك تكون قد جفت تماما وأصبحت جاهزة للاستعمال.

يظهر الفيديو مدى عراقة وتراثية المكان من خلال الطبيعة الجبلية الخلابة التي تتوسطها المباني الحجرية القديمة.

يعود هذا الفيلم الوثائقي القصير بالزمن إلى عصور قديمة ليبين لنا وقت ظهور الصناعة الفخارية في مرحلة متأخرة من العصر الحجري الحديث والتي بدأت بصناعة تماثيل صغيرة مصنوعة من الطينة المحروقة.

يبين الدكتور سليمان حشي أن هذا الفن ظهر في نفس الوقت تقريبا في مختلف مناطق البحر الأبيض المتوسط وذلك نظرا لتشابه الآثار الفخارية والخزفية القديمة خاصة بعد اكتشافه لمجسم صغير لحيوان رباعي الأطراف في منطقة آفلو بورمل الواقعة بين بجاية وزيانة منصورية وهي مشابهة لما وجد في مناطق أوروبية عديدة منها منطقة دوستينيتش وهي تعود لفترة ما بين 11 إلى 18 ألف سنة قبل حاضرنا [1].

صورة لمجسم الحيوان

كما بين الباحث عديد المعلومات المتعلقة بإنسان صانع هذه التماثيل في شمال إفريقيا وهو يسمى عند علماء الأنثروبولوجيا بالكرومانيون المحلي، أو إنسان مشتة آفلو والتشابه مع

[1]– سليمان حشي: المصدر السابق.

الإنسان الذي عاش في الدول الأوروبية خاصة في فرنسا وتشيكوسلوفاكيا و(معظم دول حوض البحر الأبيض المتوسط) [1].

تم اكتشاف أقدم آنية فخارية في العالم بمنطقة "أمكني" في "الطاسيلي" من طرف العالم "قابرييل قيمس" والتي تعود إلى 9000 سنة قبل الميلاد، وبذلك يكون الإنسان الذي عاش في منطقة الطاسيلي هو من صنع أقدم فخاريات العالم.

1-أنواع الفخار في الجزائر ومميزات كل نوع:

بين هذا الفيلم نوعين أساسيين للفخار في الجزائر هما:

أ/فخار الصحراء الوسطى:

يتميز بقاعدة كروية الشكل وزخرفة بسيطة متموجة قد تظهر على الإناء كله أو على الجزء العلوي منه فقط، وهو يتشابه مع الفخاريات الموجودة في المنطقة الممتدة من النيل إلى المحيط الأطلسي مرورا بالسودان والصحراء الوسطى وموريطانيا.

ب/ فخار الشمال

ظهر في فترة متأخرة مقارنة بفخار الصحراء

الوسطى ويتميز بقاعدة مخروطية الشكل أما

من حيث تنوع الزخرفة فهو فقير منها

مع فجر التاريخ يأخذ الفخار مفهوما جنائزيا، ثم تطو في هذه المرحلة من خلال التنويع في الأشكال

[1]- سليمان حشي: المصدر السابق..

والأواني حيث تم العثور على ثمانية وثلاثين نوعا من الأواني الفخارية بعضها ملون والآخر مزخرف.

بعض الأواني والقطع الفخارية التي تعود إلى عصر ما قبل التاريخ عليها زخرفة هندسية مثلثة وهي مشابهة لزخرفة الأواني الفخارية في بعض المناطق في العصر الحالي، وهو دليل على استمرارية نفس الزخرفة منذ فترة ما قبل التاريخ إلى عصرنا الحالي.

يعرض هذا الفيلم كذلك العديد من أنواع الأواني الفخارية التي تعود لفترات زمنية متتالية أو متباعدة مع تقديم شروحات وتواريخ من طرف محافظ المتحف الوطني للآثار القديمة السيد مصطفى دربان[1] حيث:

–آنية فخارية تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد عثر عليها بمنطقة قوارية عليها زخارف نباتية وهندسة مشابهة للفخاريات التي تعود إلى ما قبل التاريخ.

– آنية فخارية وجدت بمنطقة القل تعود للقرن الخامس قبل الميلاد، وهي تحمل مجسما أو تمثالا للإلهة عشتر أو تانيت وهي آلهة جاءت من المشرق، هذه الآنية مصنوعة من الفخار البوني.

– جرة مصنوعة من الفخار السيجيلي الإفريقي أو الفخار المحلي تعود للقرن الثاني الميلادي عثر عليها بمنطقة تيبازة.

[1]– مصطفى دربان: المصدر السابق.

- طبق مصنوع من الفخار السيجلي يعود إلى القرن الثالث الميلادي عليه زخرفة على شكل دوائر عثر عليها بمنطقة تيبازة.

- قطع من الأواني الفخارية تعود للحقبة الحمادية بين القرنين 11 و12 ميلادي تحمل زخارف حيوانية وأخرى نباتية وأخرى كتابات بالخط الكوفي وأخرى مزيج من الزخرفة النباتية والهندسية المحورة.

يبرز الفخار المصنوع يدويا الفنون الريفية وخصائص كل منطقة حيث تميز:

-فخار منطقة الصحراء: ببساطة الأشكال والزخرفة البارزة أو المحفورة في الإناء وهو يعد شاهدا على تقاليد تعود إلى العصر الحجري الحديث.

-فخار منطقة الأوراس: تكمن أصالته في أشكاله المتميزة وزخارفه البارزة والتي يمكن التعرف عليها من خلال الطلاء اللامع الذي يكسو الأواني والذي يتدرج بين الأحمر الداكن والبني المائل إلى البرتقالي.

- **فخار منطقة القبائل:** يتميز بالغنى والتنوع في الأشكال والزخارف كالمثلثات والمربعات والخطوط المستقيمة والمتداخلة.

- **فخار الغرب الجزائري:** يتميز ببساطة الأشكال وعفوية الزخارف التي تنحصر في بعض التشبيكات المعقدة أو البسيطة والخطوط المنكسرة.

2-صناعة الفخار في العصر الحديث:

بعد عرض هذا الفيلم للطرائق التقليدية لصنع الفخار وتشكيله وتلوينه وخصائصه حسب كل منطقة توجه إلى صناعته في العصر الحديث؛ حيث دخلت عليه الآلة تدريجيا حتى أصبح يحتل مركزا هاما بين الصناعات الأخرى ولعل ما شجع على استمرارية هذه الصناعة وتطورها هو وفرة المادة الأولية ذات الجودة العالية، ورغم تجهيز المصانع بالآلات الحديثة المتعددة المهام إلا أن عملية الصقل والتشكيل تبقى يدوية.

تخضع لإبداع الحرفي، كما أن عملية الرسم والتزيين والتلوين تكون بأنامل فنانين متمرسين لهم من الموهبة والخبرة والعلم ما يكفي لإخراج تلك الآنية الفخارية في أبهى صورة لتأتي بعد هذه المرحلة، مرحلة التزجيج أو البرنقة وهي تغطية الإناء بطلاء زجاجي شديد الالتصاق يكسب الإناء نعومة وبريقا، ثم العمل على إضافة لمسة جمالية أخرى وهي تزيين بعض أجزائه باللون الذهبي، وفي كل مرحلة من هذه المراحل تعاد الآنية إلى الفرن لتجف، وتسمى هذه الأواني التي تطلى بطلاء زجاجي بالأواني الخزفية بينما الأخرى التي تبقى على حالها تسمى الأواني الفخارية.

والنوع الأول منتشر أكثر في المناطق الحضارية تقنياتها مأخوذة من الفنون الإسلامية والفارسية كفن المنمنمات والنقش على الخشب وفن الخط، ومن أنواع الزخارف المستعملة على هذه المصنوعات:

- الزخرفة البربرية.
- الزخرفة الإسلامية.
- زخرفة على شكل رسومات جدارية.

كما تتعدى صناعة الفخار الأواني والأدوات إلى صناعة ما يسمى في بلدان المغرب العربي بـ "الزليج" وهو بلاطة خزفية تستعمل لتزيين المساجد والمنازل والقصور جلبت من عدة دول تعاملت معها الجزائر في العهد العثماني؛ حيث يوجد في مدينة القصبة وحدها مئة وثلاثة عشر نوعا من الزليج يحمل زخارف متنوعة أغلبها نباتية أو هندسية.

قدم لنا هذا الفيلم الوثائقي القصير معلومات تاريخية وعلمية بالغة الأهمية حول صناعة الفخار وبدايتها وتطورها عبر الزمن، واختلاف أشكالها ونقوشها، وألوانها من منطقة إلى أخرى في الجزائر.

عمل على نقل الصورة الأصلية والطريقة التقليدية لصناعة الأواني الفخارية المتوارثة عن الأجداد، وبالتالي فقد وثّق هذه العملية من أولها إلى آخرها، إضافة إلى نقل صورة المحيط والبيئة الريفية والمرأة الريفية بلباسها التقليدي الجزائري القبائلي والمباني الحجرية التراثية القديمة، وطريقة إشعال النار ومصدر الحطب وغيرها من الجزئيات البسيطة ذات الدلالات المتعددة على تراثنا الشعبي العريق.

وبين لنا أيضا، تعدد استعمالات الفخار مع تطور العصور؛ حيث صنعت منه اللوحات الجدارية، والزليج خاصة مع تحويله في كثير من الأحيان إلى خزف وبالتالي زيادة قوته وصلابته.

دعم المعلومات التاريخية بمعلومات قيمة من طرف عالم الآثار سليمان حشي ومحافظ المتحف الوطني للآثار القديمة السيد مصطفى دربان إضافة إلى عرض النماذج المحفوظة في هذا المتحف ومتاحف أخرى وورشات ومراكز أخرى عديدة.

رغم كل التطورات التي طرأت على الصناعة الفخارية منذ العصر الحجري إلى العصر الحالي ورغم ظهور العديد من المواد التي تصنع منها مختلف الأدوات والأواني، إلا أن الفخار يبقى الأقرب إلى الإنسان وحامل أفكاره وتاريخه وحضارته، فهو بمثابة بطاقة تعريف لكل حقبة زمنية صنع فيها، وحتى اليوم لا يكاد يخلو بيت من الأواني الفخارية وخاصة البيوت العربية الإسلامية.

فهذا التراث الشعبي العريق مازال محافظا على قيمته ورمزيته الحضارية بكل ما يحمله من أفكار وإبداعات الحرفيين المبدعين الشعبيين، هذه الخصائص وغيرها عرفنا بها هذا الفيلم الوثائقي القصير، كما وثق ثقافة مادية جزائرية خالصة، خاصة في ظل تشابه المصنوعات الفخارية بين العديد من الدول.

الفيلم الثاني: تقطير الورد والزهر مفخرة ولاية البليدة[1]:

عملية تقطير الورد بمختلف أنواعه هي عملية متوارثة في المجتمع الجزائري وتختص بها بعض الولايات مثل ولايتي البليدة وقسنطينة وذلك لوفرة المادة الأولية وهي الورود، إضافة إلى محافظة أهالي هذه المناطق على هذه الصناعة التقليدية الأصيلة.

عمل هذا الفيلم على التعريف بعملية تقطير الورد والزهر في ولاية البليدة وقبل ذلك اطلاعنا على سبب تسميتها بهذا الاسم حيث أطلقت عليها عدة تسميات منها: مدينة الورود، الوريدة، غرناطة إفريقيا.

وكلمة البليدة «مأخوذة من كلمة بلدة (مدينة صغيرة) وسميت كذلك مدينة الورود، وعندما زارها سيد أحمد بن يوسف المليانى، في وقت الربيع وقت إزهار الورود سماها الوريدة ومنذ ذلك الوقت سميت بهذا الاسم قبل دخول الاستعمار»[2].

كانت المنازل قديما (ديار العرب) محاطة بالورد والمسك وسلطان الغابة، وهناك من يحيطها بورد الياس والليلاق وحتى مسك الليل وكانت الجهة السفلية للمدينة معروفة ببساتين الياسمين ولذلك انتشر التقطير في مدينة البليدة.

يوثق هذا الفيلم عملية التقطير بالطريقة التقليدية وبمختلفة مراحلها، وذلك على يد السيدة حياة الصغير[3] حيث:

1-يغسل الورد ويقطر جيدا من الماء (يجفف من الماء) كما يمكن كذلك إجراء هذه العملية للنباتات العطرية مثل الخزامى والعطرشة.

---

[1]- الفيلم الوثائقي ، تقطير الورد والزهر مفخرة ولاية البليدة، إعداد وتعليق رباب العيش، مدير الإنتاج، يوسف جمالي، إنتاج التلفزة الجزائرية الثالثة، 2018،

[2]- يوسف أوراغي: المصدر نفسه.

[3]- حياة الصغير، المصدر نفسه.

2- تحضير القطارة المكونة من جزأين: جزء سفلي يشبه القدر وجزء علوي يكون عريضا يخرج منه أنبوبين أحدهما مخصص لخروج الماء عندما يسخن والآخر لخروج قطرات الماء الناتج عن البخار، (القطارة مصنوعة من النحاس)

صورة تمثل عملية آلة تقطير الورد

3-سكب الماء في القدر السفلي وتركه حتى يسخن ثم توضع داخله الورود بعد ذلك يوضع فوقه الجزء العلوي ويسكب فيه الماء البارد وكلما سخن يستبدل بماء آخر بارد، وتخرج قطرات ماء الورد من الأنبوب في الجهة الأخرى مباشرة في الآنية المخصصة لها. وتستمر العملية لمدة ست ساعات تقريبا.

توضح السيدة حياة بأن ماء الورد يستعمل في العديد من الأطباق والحلويات وأن الشباب في هذا الوقت قد ابتعدوا عن هذه الممارسات التقليدية، وعليه فهدفها هو تعريف الجيل الصاعد بصنعة الأجداد وضمان استمراريتها والحفاظ على الموروثات الشعبية، لأنها هامة ويجب أن لا تنسى ولا تقتصر عملية تقطير الورد والزهر على استخراج مائه فقط بل تتعداها إلى استخراج الزيوت العطرية كذلك.

صورة لأنواع الزيوت وماء الزهر والورد

يعرض لنا هذا الفيلم كذلك طريقة استخراج الزيوت العطرية من طرف أحد الحرفيين والتي تمر بنفس مراحل تقطير الورد والزهر إلا أن قطرات البخار الناتجة عن عملية الغليان تمر عبر أنبوب نحاسي طويل (لتجنب الأكسدة) وهذا الأخير يمر بآنية أخرى فيها ماء بارد لتتشكل قطرات الزيت وتطفو فوق الماء المقطر، وتستعمل هذه الزيوت العطرية في العلاج والتجميل، وصناعة الصابون وغيرها.

ويذهب "**يوسف أوراغي**"إلى أكثر من ذلك حيث يقول أنه «توضع قطرات من ماء الورد والزهر في الماء لإطلاق الرائحة العطرية وبعض أوراقها يتم تجفيفها لاستعمالها كمشروب

صحي، يستعمل كذلك ماء الورد من خلال تبليل قطعة قماش به ووضعها على الرأس لإزالة التعب والإرهاق وهي طرق استعملتها النسوة في وقت سابق»[1].

يعرض لنا هذا الفيلم كذلك خبرة هذا الحرفي في هذه الصناعة من خلال إعطاء العديد من المعلومات الهامة المتمثلة في الصورة التالية:

فترة إزهار البرتقال والليمون في الفترة الممتدة من بداية أفريل إلى بداية ماي وأن ألف كلغ من أزهار البرتقال تعطينا تقريبا 1 لترا من الزيت العطري.

كما يبين لنا أن عملية تقطير الورد أصبحت تمزج بين الحرفة التقليدية والعلم، هذا إضافة إلى تصويره للجو العام الذي تتم فيه عملية التقطير في المنزل من خلال اللباس والأواني وغير ذلك.

لقد قدم لنا هذا الفيلم صورة شاملة لعملية التقطير بالطريقة التقليدية بحيث يمكن لمن لا يعرف الطريقة أن يتعلمها بكل سهولة وبكل تفاصيلها وهو الهدف من عملية التوثيق: إضافة إلى حفظ الطريقة الأصلية التراثية المتوارثة عن الأجداد ونقلها للأجيال القادمة واستمرار العمل بها ونشرها والتعريف بها، والتذكير كذلك بمدى أهميتها، لأن الطريقة سهلة

[1]- يوسف أوراغي: المصدر السابق.

وغير مكلفة وغير متعبة، ويمكن استعمالها كمشروع يعود بالربح المادي على الفرد كون المادة الأولية وهي الورود والأزهار في غالبيتها متوفرة في بلادنا في عديد المناطق، كما أن الجزائريين يميلون للمنتوجات الطبيعية إذا تعلق الأمر بالعلاج أو التجميل أو الطبخ ومن هنا نجد أن هذا الفيلم عرفنا بتراث مادي وثقافة مادية جزائرية عريقة ابتعدت عنها الكثير من العائلات الجزائرية وبالتالي تم حفظ هذا التراث الشعبي من خلال هذا الفيلم.

الفيلم الثالث: روائع زربية غرداية[1].

على بعد ست مئة كلم من العاصمة الجزائرية وعلى ضفاف وادي مزاب نجد حضارة تمتد جذورها منذ آلاف السنين، إنها غرداية أو تغراديت، هذه المدينة العريقة التي تشهد أسواقها على عراقتها حيث تشكل معلما أثريا ومحور نشاط المدينة.

تشتهر هذه المدينة وبالضبط منطقة بني مزاب، «وبنو مزاب قبيلة عربية تابعة إداريا لكنفدرالية قبائل الشاوية... وهناك من يرى أن أصل المزابيين مختلط فمنهم البربر ومنهم العرب الأقحاح»[2].بتراثها المادي والمتمثل في صناعة الزربية التقليدية، ومحاولة لحفظ هذا الإرث رصدنا الفيلم الوثائقي "روائع زربية غرداية" طرائق صناعة الزربية التقليدية وكذا الأدوات والمواد الأولية المستعملة في عملية النسيج، فمن قلب المحن وغياب الظروف الحسنة للمعيشة ولدت الزربية التي كانت في بداية الأمر عملا تقوم به النسوة لمساعدة أزواجهن وهذا ما صرح به الحاج سعيد محمد رئيس جمعية أبي إسحاق.

---

[1]– الفيلم الوثائقي، روائع زربية غرداية، إعداد كمال رمضان والزرقة أمين، تعليق أمين أشقيقب، إخراج، بن بلال محمد سعيد.

[2]– عدنان إبراهيم: الأدارسة أول من سكن وبنى قصور بني مصعب (بني مزاب)، مقارنة جينية، 2020، ص 01، كتاب إلكتروني (pdf)، منشور على الموقع،

الادارسة أول من بنى قصور بني مصعب /https،//dn790009.ca.archive.org/0/items/20200815_20200815_2122 - pdf.(بني مزاب) مقارنة جينية

وحسب تصريحات أهل المنطقة الموثقة من قبل الفيلم الوثائقي فالزربية ترمز إلى عادات وتقاليد أهل منطقة غرداية من خلال تلك الرموز والنقوش المنسوجة يدويا، فقد حاكت الزربية ظروف معيشة المرأة وكل ما يخص أمور الحياة، فنجد رسومات عن الحلي والحيوانات والأدوات المنزلية وغيرها.

وهذا ما صرح به فخار سليمان: «الزربية ترمز إلى عادات وتقاليد وحضارة المنطقة... والزربية فيها رموز تدل على المعيشة والزواج مثل الصندوق والأقراط، والمفتاح وغيرها، كل هذا يدل على حضارة هذا المجتمع لسنين وسنين مضت»[1].

تأخذ تجارة الزرابي حيزا كبيرا، وهذا يعكس إنتاجية المرأة ومدى إقبال الناس عليها. وقد بين لنا هذا الفيلم الوثائقي أن الزربية التقليدية نوعان؛ الأولى تدعى "بربوشة" والنوع الثاني "لوتيسجرا".

صورة لزربية بربوشة

صورة لزربية لوتيسجرا

وكل واحدة فيها رموز أو رقمات كرقمة غرداية، رقمة بني يزقن، رقمة العاطف ورقمة بونور.

[1]– فخار سليمان: المصدر السابق.

كما صرح "يحي بن ناصر" رئيس مصلحة البحث والتنشيط « أن الزربية ليست مجرد تقاطع لخيوط أفقية بل هي رسائل وأفكار تجسدها المرأة داخل الزربية، حيث تطرقت إلى مواضيع كثيرة كالموت، والإخصاب، والأكل، والميلاد، والحكايات...»[1].

وتعكف الأم بنسج جهاز بناتها منذ نعومة أظافرهن ويقمن بمساعدتها ليرثن عنها الحرفة والعادة الحميدة.

وقد وثق لنا الفيلم الوثائقي طريقة صنع الزربية وكانت الخطوات كالتالي:

1- جز صوف الغنم من قبل الموالين وتكون هذه العملية مرة واحدة في السنة (في فصل الربيع) بين شهري أفريل وماي، وعند إكمال عملية الجز، تباع الصوف إلى التاجر أو ورشات صنع الزرابي.

صور توثق عملية جز الصوف وجمعه

2- غسل الصوف غير المغزل، حيث صرحت "ودان مسعودة" إحدى حرفيات صناعة الزرابي «أنهن يقمن بوضع الصوف تحت أشعة الشمس لمدة يومين لتسهل عملية نزع التراب منه، ثم يقمن بغسله ليكون جاهزا للاستعمال»[2].

[1]- يحي بن ناصر: المصدر السابق.

[2]- ودان مسعودة: المصدر نفسه

وضع الصوف تحت أشعة الشمس

صورة عملية غسل الصوف

وضع الصوف تحت أشعة الشمس لتجفيفه بعد الغسل

3- ثم تأتي عملية تحضير الصوف ويستعملون في ذلك:

- **المشط**: «وهو عبارة عن برواز معدني يتكون من صفائح معدنية رقيقة جدا متراصة بجانب بعضها البعض»[1].

- **القرداش**: «يستعمل لتسهيل الصوف وعمل (القلوم) وهو عبارة عن لوحتان مربعتا الشكل بكل منهما يد خشبية وهو يشبه فرشة الشعر الحديثة وكل لوحة على حد تسمى فردة»[2].

- **الخلالة**: «وهي آلة حديدية ذات أصابع رقيقة مستوية تمتد إلى الأمام ولها يد من عود مثبتة من طرفها الأخير عموديا، ولها أسنان مثل المشط وتستعملها الناسجة في تثبيت خيط الطعمة في مكانه من النسيج»[3].

---

[1] -https،//e3arabi.com12.07.2024.13:50 ت.د.

[2] -http،//anwikipidia.org12.07.2024.13:55 ت.د.

[3] -hppt،//www.djlfa.info 12.07.2024.13:58 ت.د.

وضحت الحرفية "ودان مسعودة" أن المشط يسهل للنسوة عملية تقرديش الصوف، ثم ننتقل إلى وضع الصوف في القرداش لتفتح جميع قطع الصوف ليحولوه إلى خيوط.

4- بعد تحضير الصوف تأتي مرحلة تلوينه، حيث مازال الحرفيون يتبعون طرقا تقليدية في تلوين تلك الخيوط، وصباغتها من خلال استخدام مواد طبيعية مجففة، فتوضع في قدور الماء قشور الرمان المجفف، والبابونج والحناء إضافة إلى السواك ويتم مزج بعضها البعض من أجل إعطاء درجات متعددة من الألوان.

صور تبين عملية تلوين خيوط الصوف

5- في هذه المرحلة تبدأ عملية النسيج بنصب السداد والذي هو عبارة عن حديدتين توضعان على آلة حديدية تسمى "القيام" لتبدأ مرحلة الطعمة ثم تبدأ مرحلة التشكيل بالخيوط الملونة على المنسج.

تشكيل الخيوط الملونة على المنسج

ويقول علوان عالاوي مخترع المنسج الحديث «لا يخلو أي بيت في وادي مزاب من المنسج، فالمرأة العرداوية الميزابية تنسج كل شيء حتى الحائك الذي تستر به نفسها ينسج بالصوف والمنسج قديما كان بأبسط الأشياء»[1].

وتردف ودان مسعودة قائلة: «أن المنسج قديما كان يصنع من خشب النخيل، ويضعون عليه جلد البعير لكي يكون أملسا»[2]، والمنسج القديم كان صعبا لا يمكن لامرأة واحدة العمل عليه، لأن الركائز كانت صعبة التثبيت.

أما المنسج الجديد فهو خفيف الوزن، سهل التركيب، إضافة إلى سهولة نقله من مكان لآخر.

[1]– علوان عالاوي: المصدر السابق.

[2]– ودان مسعودة: المصدر نفسه.

صورة للمنسج القديم والحديث

6- بعد إتمام صنع الزربية في أبهى حللها تفضل الكثير من الحرفيات التوجه إلى مركز الدمغ من أجل إعطاء زربياتهن مصداقية وضمانا ومركز غرداية هو المركز الرابع وطنيا للدمغ وهذا ما صرح به بوبكر الصديق مدير الغرفة، ويجب أن تتوفر الربية على مجموعة من المعايير، ويقوم مركز الدمغ بالقيام بمجموعة من الاختبارات لمعرفة مدى تطابق الزربية والمعايير المتعارف عليها.

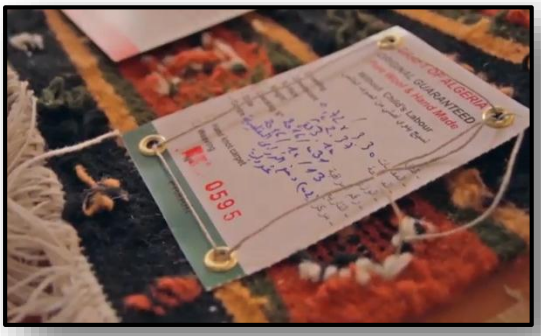

صورة في مركز الدمغ

7- وفي الأخير تؤخذ الزربية إلى السوق عند الدلال (فالسوق هو الذي يحدد سعر وقيمة تلك الزربية عن طريق البيع بالمزاد وهذا ما صرح به نجار حسين تاجر للزرابي.

صورة عن المزاد

ويكون البيع وفق ضوابط متفق عليها من طرف كبار وشيوخ البلدة.

وقد رصد لنا هذا الفيلم الوثائقي جهود الدولة المتمثل في «ديوان واد مزاب وترقيته» في الحفاظ على هذا التراث من خلال التظاهرات الثقافية الخاصة بالزربية المقامة كل سنة من أجل التشجيع وضمان استمرارية هذا الموروث وتناقله عبر الأجيال القادمة.

صور للتظاهرة الثقافية للزربية

وعليه فالفيلم الوثائقي "روائع زربية غرداية" حمل بين طياته هدفا نبيلا في صون وحفظ هذه الصناعة التقليدية المهددة بالزوال مع مرور الوقت، ونقلها إلى الأجيال القادمة ليوثق في الوقت نفسه الطريقة التقليدية لصناعة الزربية وضمان استمراريتها لأجيال المستقبل، فقد

لعب هذا الفيلم الوثائقي دورا مهما في التعريف بهذا النوع من الصناعات وتوثيقه حتى يكون عاملا حيويا في تطوير عجلة التنمية الاقتصادية، وقد يكون عامل تحفيز لأجيال الحاضر والمستقبل على امتهان هذه الحرف، وتحويلها إلى مشاريع مصغرة أو كبيرة تساهم في التعريف بتراث شعبنا العريق وحفظه وصونه من الضياع أمام التطور المتسارع الذي تشهده الشعوب، إضافة إلى مساهمتها في التطور الاقتصادي من خلال الاكتفاء الذاتي وتصدير مثل هذه المنتجات التقليدية التي تعتبر بطاقة تعريف لتراثنا الشعبي.

الفيلم الرابع: صناعة الدوم... حرفة تحاكي تاريخ الجزائر [1].

تمكن الفرد الجزائري من استغلال أنواع كثيرة من النباتات المحلية لصنع منتجات مختلفة الأشكال والأحجام ومتعددة الاستعمالات كالقفة والقبعة والسجاد، وبعض الأدوات للاستعمال المطبخي، وأخرى للزينة، ومن أبرز هذه النباتات نبات الدوم ويمسى كذلك الرافيا وهو «جنس نبات من الفصيلة النخلية، اسمها العلمي Palmaea توجد في إفريقيا وأمريكا ... حيث يتم ترقيق الألياف ثم تبلل بالماء لصبح هشة صالحة للاستعمال »[2].

تعد صناعة الدوم موروثا ثقافيا حضاريا توارثته الأجيال على مر السنين ومازالت هذه الصناعة التقليدية محافظة على جماليتها وقيمتها التاريخية رغم ما تواجهه من صعوبات وسنتعرف من خلال هذا الفيلم بشكل أدق على هذه الصناعة ومراحلها وكيف عمل الحرفيون على ضمان استمراريتها رغم المشقة والصعوبات.

عرض هذا الفيلم في بدايته صورا حية للناس في عدة شوارع مع غياب تام لأي مظهر من مظاهر الصناعات التقليدية وهذا بسبب زحف مواد أخرى حلت محلها نتيجة عدة

---

[1]- الفيلم الوثائقي، صناعة الدوم حرفة تحاكي تاريخ الجزائر، إعداد، حمزة زروقي، وزينب أباريسان، تركيب عبد الرحيم عبدوش، إنتاج قناة النهار TV.

[2]- بوصلب عبد المجيد: بطاقة حصر مصنوعات الألياف النباتية والسعف، معارف ومهارات وممارسات اجتماعية، المركز الوطني للبحوث في عصر ما قبل التاريخ، وعلم الإنسان والتاريخ، 2022، ص 7.

عوامل، يقول الحرفي معمر شيكر: «في الوقت الماضي كانت قفة الدوم هي السائدة، يحملها الرجال والنساء لوضع المشتريات وتتميز بالستر، فلم تكن هناك الأكياس البلاستيكية... مازال العديد من سكان القليعة يستعملونها بخلاف العديد من المناطق الأخرى»[1]، فقفة الدوم رمز للأًصالة والحياء والستر.

عمل هذا الفيلم كذلك على عرض المراحل المتعددة لصناعة الدوم حيث يتم:

1- إحضار نبات الدوم (الألياف) من المناطق الجبلية مع اختيار الألياف الصالحة فقط .

2- تعديل أطرافها ونزع الألياف الصغيرة ثم وضع الألياف الجيدة في أسلاك طويلة بشكل منظم.

3- تجفيفها تحت أشعة الشمس.

4- تحديد مجموعة منها لصبغها.

5- إعادة تبليلها بالماء لتبييضها ولتسهيل العمل بها.

يؤكد الحرفي الابن على مدى صعوبة هذه الحرفة من بدايتها حتى نهايتها كما أنها تستغرق وقتا طويلا، بينما يعبر الحرفي الأب عن مدى تعلقه بهذه الحرفة ويشبهها برائحة الوالدين من حيث الحنين والمحبة والتعلق بهذه المادة

[1]- معمر شيكر: المصدر السابق.

وهذه الحرفة فهي لم تعد مصدر رزق فحسب بل أصبحت فنا وإرثا يفتخر به وهو متوارث في عائلته.

المنتوجات التقليدية المصنوعة من مادة الدوم تتميز بالصلابة والمتانة نظرا لصلابة المادة الطبيعية والمهارة اليدوية التي تجعلها تصمد لفترات طويلة

صورة من محل بيع منتجات الدوم

يقول محمد شيكر أن «صناعة القفة الواحدة تستغرق يومين بالنسبة لكبير السن ويوما واحدا بالنسبة للصغير»[1]. وللقفة التقليدية تاريخ ودور كبير في الثورة الجزائرية حيث «ساهمت في إيصال الرسائل وحمل الأسلحة والمتفجرات، يجب الافتخار بها والحفاظ عليها»[2].

يعمل هذا الحرفي على ضمان استمرارية القفة التقليدية من خلال استعمالها بشكل يومي من طرفه ومن طرف أولاده وأحفاده حتى في أبسط الأشياء فهو يبعث برسالة مباشرة لأفراد عائلته وللمجتمع كذلك. في ظل غزو البلاستيك للحياة في مختلف جوانبها، ثم إن تناقص هذه الصناعة ونقص اقتناء هذه المواد التقليدية راجع لعدة عوامل يرجعها أحمد الحرفي

[1]– محمد شيكر: المصدر السابق.

[2]– المصدر نفسه.

الابن إلى صعوبتها وعدم وجود التسويق وعدم وجود الدعم من طرف الدولة رغم وفرة المادة الأولية.

كما أن طول مدة التجفيف والتصنيع تعد عائقا خاصة وأن ثمن البيع لهذه المصنوعات زهيد مقارنة بارتفاع أسعار مختلف المواد الضرورية للعيش، فكل ما يصنعه الحرفي إذا لم يتمكن من بيعه فإنه لا يصنع منتوجات أخرى.

وهكذا تتوالى سلسلة العقبات أمام هؤلاء الحرفيين مما يجعل حرفتهم التراثية تواجه خطر النسيان والاندثار رغم كل ما تحمله من عراقة وأصالة وجمال وصحية مقارنة بالمواد الصناعية الأخرى الحديثة التي غزت الأسواق والمنازل، فقد أصبحت المواد والمنتوجات المصنوعة من مادة الدوم تقتنى للزينة أو للاستعمال في مناسبات خاصة في العديد من المناطق بحجة غلاء أسعارها عند البعض.

يؤكد محمد شيكر على أهمية المنتوجات التقليدية المصنوعة من مادة الدوم بقوله: «من يشتري هذه المنتوجات فهو يشتري أوقاتا من العمل، يشتري روحا، يشتري اسما، هي ليس بالشيء الهين البسيط هي بالغة الأهمية لمن يعرف قيمتها»[1].

وهناك صناعة أخرى مشابهة لصناعة الدوم وهي صناعة الخيزران والتي تعاني هي الأخرى خطر الاندثار بسبب نقص المادة الأولية وعزوف الشباب عن تعلمها وامتهانها بسبب قلة الصبر وكونها متعبة كذلك[2].

إلا أن صناعة الخيزران اليدوية لم تعد مقتصرة على الأدوات البسيطة فقط بل «تطورت من أشياء بسيطة إلى غرف نوم وصالونات»[3].

1- الحرفي أحمد: المصدر السابق.

2- محمد شيكر: المصدرنفسه.

3- رشيد سمار: المصدر نفسه.

ويرجع هذا إلى إبداع الحرفي وتطويره لمهاراته وأساليب تطويعه لمادة الخيزران، ويلجأ الكثير من الناس اليوم لاقتناء الأثاث المصنوع من مادة الخيزران لصلابته وجماله ومواكبة تصاميمه للعصر.

صورة لبعض المنتوات والأثاث المصنوع بالخيزران

قدم لنا هذا الفيلم الوثائقي نوعين من الصناعات التقليدية المتقاربة من حيث الطريقة والاستعمال وهما تواجهان خطر الزوال بسبب عزوف الجزائريين عن هذه الحرف والمصنوعات اليدوية لغلاء أسعارها من جهة بالمقارنة مع المستوى المعيشي للأغلبية ومن جهة أخرى المنافسة في السوق من طرف مواد أخرى هي في معظمها غير صحية.

بين لنا كذلك مدى صعوبة هذه الصناعات وتعلق أصحابها الحرفيين بها رغم كل ما يواجهونه من عوائق.

كما وضح سبب ابتعاد الجزائريين عن كل ما هو تراث والاكتفاء به للاستعمال في المناسبات أو للزينة.

ولكن رغم كل الصعوبات والمشاكل في هذا المجال تبقى صناعة الدوم صناعة تقليدية عريقة، وهي موروث حضاري ثقافي يحمل فكر وإبداع الحرفي الجزائري منذ زمن بعيد، ترمز إلى الأصالة والتاريخ كما ترمز للأرض والتمسك بأصولنا وجذورنا شأنها في ذلك شأن الصناعات الفخارية والنسيجية وغيرها مما تفنن وأبدع فيه الجزائريون.

2-الأزياء:

اللباس التقليدي عنصر هام من العناصر الثقافية لكل شعب من الشعوب فهو يرمز إلى الأصالة والهوية، لما يحمله من تراث فكري وإبداع ورمزية لكل منطقة ينتمي إليها، كما أنه يختلف في الكثير من الجزئيات حتى داخل الوطن الواحد، واللباس التقليدي الجزائري هو لباس غني وثري ثراء الجزائر، بمختلف الموارد الطبيعية والبشرية، فنجد: اللباس الشاوي، اللباس القبائلي، اللباس العنابي اللباس الصحراوي... فكل منطقة منها لها لباس تقليدي خاص للنساء أو الرجال يرمز عادة إلى أهل تلك المنطقة وثقافتهم، ويتمسك كل منهم بلباسه التقليدي رغم التطور والعصرنة، والبعض من هذه الألبسة أصبح مقتصرا على المناسبات فقط أما البعض الآخر فما زال يلبس بشكل يومي وعلى العموم فهذه الأزياء على اختلافها تعد تراثا شعبيا جزائريا سنعمل على التعريف ببعضها من خلال الفيلم الوثائقي التالي:

فيلم اللباس المزابي[1].

يقدم لنا هذا الفيلم في بدايته لمحة تاريخية وجغرافية عن المنطقة وأهلها فهي ذات حضارة متجذرة في التاريخ تقوم على الدين والمحافظة على الأصالة المنبثقة من تعاليم الدين الإسلامي، تتميز بهندسة معمارية تراثية متميزة، حيث يعود تاريخ بعض قصورها إلى ألف سنة، أما التركيبة الاجتماعية للمنطقة فأساسها الوحدة وأبرز خصائصها وحدة اللباس الذي يرمز إلى الأصالة والتماسك الاجتماعي.

[1]- الفيلم الوثائقي، اللباس المزابي، فكرة وإخراج أنيس الهيشر، قراءة التعليق، سعد وردان، منتج منفذ، مركز بالكوم للخدمات الإعلامية، الجزائر، 2015

صور للناس في السوق وللأطفال في المدرسية

«تكمن أهميته في كونه لباسا إسلاميا محترما محتشما موحدا بين الجميع، مأخوذ من الواقع المعاش»[1]، حيث لا يمكن التفريق بين المزابي وغيره في سنوات العشرينيات والثلاثينيات، فكل من يأتي إلى المنطقة يرتدي لباسهم، ويؤكد الحاج سليمان بكاي على توحيد اللباس لأهالي ميزاب بقوله أن اللباس المزابي «موحد لأهالي ميزاب»[2]، هذا إضافة إلى أن بعض الشخصيات الثورية البارزة لبست اللباس المزابي مثل الأمير عبد القادر.

صورة للأمير عبد القادر وافراد من حاشيته

[1]- محمد حاج سعيد : المصدر السابق.

[2]- المصدر نفسه.

فاللباس المزابي يوحد بين الجميع فلا فرق بين الغني والفقير أو بين الكبير والصغير وحتى لباس النسوة موحد، ويذهب أبو بكر صالح إلى أن اللباس المزابي «رمز الهوية المزابية الإباضية الجزائرية»[1].ويتوجب المحافظة عليه وضمان استمراريته مع الجيل الصاعد في جميع المناسبات والأعياد وحتى في الحياة اليومية.

بدأ المزابيون بارتداء هذا اللباس بالاعتماد على مواردهم المحلية الخاصة من صوف الغنم ووبر الجمل حيث تمر العملية بعدة مراحل:

1-جز صوف الغنم.

2- غسلها ثم تنقيتها.

3- نسجها عبر مراحل وغالبا ما تشرف عليها النسوة في البيوت وهو ما يتجلى في حرفة النسيج المتجذرة في أعماق تاريخ المنطقة.

صور لمراحل تحضير الصوف لنسج اللباس

يرى محمد كمل عينو أن بداية ارتداء هذا اللباس تعود إلى 1500 سنة أو ما قبلها، كما كان يلبس دون صباغة أي على شكله الطبيعي[2].

[1]- محمد حاج سعيد : المصدر السابق.

[2]- محمد كمل عينو: المصدر نفسه.

تعرض هذا الفيلم إلى طريقة تحضير الصوف والمراحل التي يمر بها لكي يصبح جاهزا لعملية النسج حيث:

1- يفكك الصوف وتعزل قطع الصوف الطويلة عن القصيرة بواسطة أداة تسمى "أمشجض".

2- استخراج قطع الصوف الطويلة التي يبلغ طولها حوالي عشرون سنتمترا وتسمى هذه القطع "أنزاغن".

3- استمرار العمل على هذه القطع الطويلة للحصول على قطع أطول تسمى "تانزست" ويبلغ طولها حوالي ستة عشر مترا وتستعمل هذه القطع كذلك في صنع الزرابي التقليدية.

أنواع اللباس المزابي الرجالي:

1-القشابية: يرتدي الرجل المزابي القشابية التي تقية برد الشتاء، وأكثر أنواعها انتشار تلك المصنوعة من صوف الأغنام، وتكون باللون الأبيض، حيث ترمز إلى العفة

والطهارة والنقاء.متوسط مقياس خياطتها حوالي مترين وثمانين سنتمترا للطول وحوالي أربعة أمتار ونصف للعرض، ومقياس غطاء الرأس حواليستون سنتمترا للطول وثلاثون سنتمترا للعرض ما بين الأذنين.

2-تيشبرت نوظفت: شبيهة بالقشابية لكنها تختلف عنها في قصر الأكمام وخلوها من غطاء الرأس وغلبة اللون الأبيض في لباس القشابية هو اتباعهم لسنة الرسول (ص).

3/الحائك الصوفي: هو قطعة من القماش المنسوج يدويا ودون خياطة تلف حول الجسم وهو يقي من برد الشتاء.

يختلف الحائك حسب المكانة الاجتماعية للشخص حيث يرتدي العامة حائكا صوفيا ثقيلا أما المشايخ والعلماء فيرتدون نوعا آخر أخف.

يسمى الحائك الذي يرتديه علماء وحكماء المنطقة "أحولي" «وهو منتشر في مناطق مجاورة للجزائر مثل منطقة نفوسة وطرابلس بليبيا وجربة بتونس»[1].

أصل هذا اللباس «جربي من تونس أتى به الشيخ عمي سعيد الجربي، في أواخر القرن العاشر هجري وبداية القرن 11 هجري الموافق لـ القرن الخامس عشر ميلادي إلى وادي ميزاب»[2]. وقد كان لباسا رسميا للهيئات الدينية "العزابة" و"إروان" في المنطقة كي يتمكن

[1]- خضير لمدهكل: المصدر السابق.

[2]-المصدر نفسه.

الشخص من الانضمام إلى هيئة "إروان" وينال شرف ارتداء هذا الحائك يتم التقصي عنه أولا، وبعد قبوله يعقد شيخ الحلقة اجتماعا ببهو المسجد يحضره جميع أعضاء "حلقة إروان"؛ حيث يلبس العضو الجديد قطعة "أحولي" بمفرده، ويحضر في جلسة تلاوة القرآن التي تعتبر كمرسوم لتعيينه.

أما الطريقة الثانية للانضمام إلى هذه الهيئة فتكون باستظهار الفرد لكتاب الله، وهنا يقوم رئيس الهيئة بتلبيسه قطعة "أحولي" وسط تلاوة جماعية للقرآن الكريم وبهذا يكون الفرد قد التحق فعليا بهذه الهيئة.

أما الحالة الثالثة فيلبس "أحولي" للعريس كلباس رسمي ليلة زواجه ويلبس كذلك في الحفلات والمناسبات.

يتبين من خلال هذه الحالات التي يلبس فيها هذا النوع من اللباس مدى أهميته وارتباطه بالعلم والدين واشتراط حفظ القرآن وتلبيسه داخل بيوت الله للأعضاء الجدد في تلك الهيئات الدينية دليل على تمسك أهل المنطقة بالقيم الإسلامية والعادات الاجتماعية القائمة على الوحدة والمكانة الهامة لحافظ القرآن، كما أن تلبيسه للعريس ليلة زفافه دال على الثقة به كفرد مؤسس جديد لعائلة جديدة في تلك المنطقة ورمز للتمسك بعادات وتقاليد الأجداد.

4-البرنوس:من الألبسة التقليدية ويلبس فوق القشابية «وكان إلى خمسينيات القرن الماضي هاما لدرجة أنه لا يجرؤ على دخول السوق من لا يلبسه حيث يعد عيبا وعارا وهو شيء مخجل أمام الناس»[1].

مراحل صنعه لا تختلف عن مراحل صنع الحائك إذ يتميز بنفس المراحل الدقيقة، وغالبا ما يرتدي المزابيون البرنوس المصنوع من صوف الأغنام (الأبيض).

يضيف محمد الحاج سعيد: أنه شبيه بالبرنوس القبائلي الذي مازالوا محافظين عليه وللدلالة على أهميته «كان يستحيل على أحدهم الدخول إلى السوق دون ارتداء البرنوس»[2].

5- الحفاية:هي غطاء للرأس تشبه العمامة مصنوعة من الكتان ذات لون أبيض يلبسها عامة الناس وخاصة المعتكفون في المساجد وطلبة العلم والأئمة والمشايخ، وهي نسخة من الشاش على حد تعبير "فيصل لمدهكل" الذي كان سائدا في السابق وهو رمز للشهامة والرجولة وقد كان الأمير عبد القادر يلبسه.

[1]- حاج سليمان بكاي: المصدر السابق.

[2]- محمد الحاج سعيد: المصدر نفسه.

في لبسها تطبيق لسنة الرسول (ص) بتغطية الرأس: وتختلف طريقة ارتدائها حسب المكانة الاجتماعية للشخص، وهي رمز من رموز المنطقة لا يستغنى عنها رغم كل التطورات

يبين لنا هذا الفيلم أن منطقة "وادي ميزاب"ليست منعزلة عن العالم، بل شهدت دخول ثقافات جديدة وتأثرها بها، ومن ذلك دخول القبعة الحمراء المسماة "كالابوس" المصرية وارتدائها من طرف أهالي المنطقة ما بين 1940 و1950 ميلادي، ثم دخلت الشاشية وأصبحت تخاط في منطقة القرارة وتكون في الغالب سميكة الحجم، حيث توضع لها قطعة قماش صلبة من الداخل حتى تكون بارزة يسهل وضعها على الرأس ومع التطور كذلك دخلت الشاشية التي تسمى "تعراقيت" وهي الأكثر تداولا.

6-السروال العربي: يقول الحاج محمد سعيد أن «أصل هذا اللباس تركي جاء كشكل من أشكال الحضارة التركية»[1]، ويضيف محمد كمل عينو «أن المزابيين لم يكونوا يلبسون هذا السروال»[2].

أضاف المزابيون بعض التعديلات على هذا السروال وأًصبح متداولا بشكل يومي إلى الآن، حيث كانوا يشدونه في القديم بقطعة قماش عند الحزام ثم

[1]- الحاج محمد سعيد: المصدر السابق.

[2]- محمد كمل عينو: المصدرنفسه.

أصبحوا يضعون للأطفال حزاما يشد السروال من الظهر (Bretelle)، وخصصوا للكبار مكانا لوضع الحزام العادي الذي نعرفه اليوم.

يمتاز هذا السروال بشكله المترابط الفضفاض غير المفصول بين الرجلين، له طيات كثيرة من الأمام والخلف.

وتختلف نوعية القماش حسب الحاجة من الخفيف الناعم إلى الخشن الدافئ حيث تؤخذ مقاسات الشخص بعد اختيار القماش ويتم تحضيره في مدة وجيزة، وسعره غير مكلف، وملائم لمختلف شرائح المجتمع.

يقبل المزابيون على هذا اللباس بشكل أكبر في المناسبات، وحتى الأجانب والزوار يعتبرونه رمزا للأصالة والهوية المزابية الجزائرية، ويعملون على المحافظة عليه وضمان استمراريته والترويج له من خلال السياحة الداخلية وتعريف السياح به، كما يعود سبب تمسكهم بهذا الموروث الحضاري إلى عدة عوامل أهمها:

- الوعي بضرورة المحافظة عليه ونقله للأجيال القادمة.
- «قوة الهيكل الاجتماعي الذي يتم من خلاله المحافظة على هذا اللباس وعلى العادات والتقاليد واللغة المزابية كذلك»[1].

من هنا نجد أن هذا الفيلم الوثائقي عمل على التعريف بنوع من الألبسة التقليدية الجزائرية ذات الأصول التاريخية العريقة وتبيان مادة صنعها وطريقة نسجها وخياطتها وأصولها التاريخية وما طرأ عليها من تغيرات، هذا إضافة إلى الاستشهاد بصور من الأرشيف من سنوات العشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي، كما عرض صورا حية لبعض الأدوات وطريقة تنقية وتفكيك الصوف وعزز من مصداقية العمل وتوثيقه بشكل أدق من خلال عرض آراء الباحثين والأساتذة والحرفيين وحتى أحد رجال الهيئات الدينية وآراء السياح، فهذا الفيلم يعد

[1]- أبو بكر صالح: المصدر السابق.

بمثابة مرجع ثقافي تاريخي يمكن الرجوع إليه عند الحاجة؛ لأنه نقل لنا تراثا شعبيا ماديا وفنيا شعبيا أصيلا أبدع في تصميمه وتفصيله وخياطته حرفيون جزائريون، كما أظهر هذا اللباس التقليدي أن المجتمع المزابي مجتمع ملتزم بالقيم والمبادئ الإسلامية، والتي تبرز من خلال الحياء والاحتشام المتجسد في نوعية اللباس وطوله وسترة للجسد كما يمثل الوحدة بين مختلف أفراد المجتمع كبارا أو صغارا، أغنياء أو فقراء، فهم يلبسون نفس اللباس، وإن اختلفت ألوانه ونوعية القماش إضافة إلى مبدأ الاحترام المتبادل بين مختلف شرائح هذا المجتمع.

3-المباني الأثرية:

لكل أمة من الأمم تراث ثقافي وحضاري أبدعته الشعوب وظل قائما يحمل ثقافتها الشعبية وأفكارها، وهو ما يبرزه الجانب المعماري لها سواء كان قصورا أو منازلا، أو مساجد، أو حمامات....

هذا التراث الشعبي يعد عنصرا هاما يربط الماضي بالحاضر ويعرفنا بمدى التطور الفكري والفني والعلمي للأجيال السابقة كما يكشف لنا جوانبا من تاريخها وحكاياتها وقصصها التي ظلت متوارثة حتى وصلت إلينا اليوم، غير أن هذا التراث الشعبي العمراني مهدد بالزوال والاندثار بسبب عوامل طبيعية وأخرى بشرية، وبالتالي فهو بحاجة إلى الصيانة والحفظ بحيث يمكن للأجيال القادمة الاطلاع عليه وذلك من خلال وسائل عديدة للحفظ منها الكلاسيكية ومنها الحديثة التي تعتمد على التصوير الفيلمي، وهو ما عملنا على إظهاره والاستدلال به من خلال الأفلام الوثائقية القصيرة المتعلقة بالمباني الأثرية في الجزائر والتي تم بناؤها في حقب زمنية مختلفة وهي كالتالي:

الفيلم الأول: قصور القصبة ... التراث الصامد:[1].

مدينة القصبة هي مدينة تراثية عريقة تقع في الجزائر العاصمة «بناها العثمانيون في القرن السادس عشر بين عامي 1516 و1592 وهي أحد أهم وأجمل معالم التراث العمراني حيث صنفتها منظمة اليونيسكو عام 1992 ضمن التراث العالمي الإنساني، وهي تضم الكثير من القصور والمساجد الأثرية»[2].

[1]- الفيلم الوثائقي "قصور القصبة، التراث الصامد"، إنتاج قناة النهار TV، الجزائر، 2020،

[2] - https،//www.aa.com.tr(AnadoluAjansi)12.07.2024.13:30 ت.د.

يعرض هذا الفيلم الوثائقي القصير جزءا من تراث شعبي مادي عريق تزخر به الجزائر، وهو قصور القصبة ذات الطابع العمراني الإسلامي العثماني، حيث تم تصوير بعض هذه القصور والتعريف بها وتحديد موقعها وعرض ما تحتويه من كنوز تراثية حيث نجد:

1-قصر أحمد باشا:

هو قصر كبير أشبه بقصر ألف ليلة وليلة، من حيث فخامة البناء والأصالة والعراقة في الزخارف والنقوش، تتوسطه ساحة كبيرة محاطة بالأعمدة والأقواس المزخرفة والملونة، جدرانه مزينة بأنواع وألوان من الخزف (الزليج) والأسقف كذلك ذات ألوان ونقوش مختلفة تتوسطها ثريات أما الأبواب فهي خشبية ضخمة عليها نقوش بأحرف اللغة العربية، يطل هذا القصر على البحر بارتفاع مئة وثمانية عشر مترا.

أما الاسم الكامل لصاحب هذا القصر فهو «أحمد بن علي خوجة المدعو أحمد الثاني وسمي بأحمد الثاني نظرا الوجود سابقه في الاسم أحمد الأول... وهذا معروف عند الحكام العثمانيين»[1].

يسمى الحي الذي يوجد فيه هذا القصر «حي زوج عيون كما يسميه الأتراك... ويسمى أيضا حي المفكرين لأنه كانت هناك مكتبة بجانب قصر مصطفى باشا يذهب إليها المفكرون»[2].

«كما يسمى هذا القصر بقصر "بريس" (Brusse) وهو يقع بشارع حاج عمر بمحاذاة قصر العدالة سابقا، ودائرة باب الواد ويتوسط العديد من القصور والمساجد مثل مسجد كاتشاوا والجامع الكبير»[3] وترتيبه بين هذه القصور هو القصر رقم 10.

---

[1]- شيخ المحروسة: المصدر السابق.

[2]- أغيلاس مصادي:المصدر نفسه.

[3]- عمر شابي: المصدر نفسه.

صورة لأجزاء من هذا القصر

(الساحة، الأقواس الأبواب، الأسقف المزخرفة

أصبح هذا القصر في العصر الحالي، مقر إدارة المسرح الوطني، حيث علقت على جدرانه صور لأبرز الممثلين المسرحيين وكبار السينما الجزائرية منذ 1963.

القصور في الحقبة العثمانية لم تكن تسمى بهذا الاسم فالقصر يسمى الدار أما منازل العامة فتسمى الدويرات.

يصور هذا الفيلم كذلك الشوارع الضيقة لأحياء القصبة والمنازل المتقاربة والأخرى المتلاصقة والتي كان الهدف من بنائها بهذا الشكل هو «تربية المجتمع... بمعنى التقارب الاجتماعي»[1] ، كما توجد دار القاضي للفصل بين المتخاصمين وحل النزاعات هذا

[1]– عمر شابي: المصدر السابق.

إضافة إلى الأسواق والحمامات والمكتبات فهي بمثابة مدينة متكاملة الأركان يحكمها القانون الإسلامي ولا يطغى فيها الحاكم على المحكوم.

2-قصور حسن باشا:

للسلطان حسن باشا قصرين أحدهما في القصبة السفلى وهو القصر العتيق وكان يذهب إليه في فصل الشتاء أما القصر الثاني فقد تم بناؤه بين عامي 1516 1591 أو 1596 وهو القصر الذي وقعت فيه حادثة المروحة الشهيرة وسماه الفرنسيون قصر الصيف ويظهر التصميم العمراني الفاخر لهذا القصر من خلال الصورة التي عرضها هذا الفيلم وهي لإحدى القاعات الشرفية الكبيرة حيث زينت جوانبها بأعمدة مزخرفة مموجة وأقواس لا تقل عنها جمالا بينما تتدلى من سقفها ثريا ضخمة ويغلب اللون الأبيض على باقي الألوان في هذه القاعة، ويسمى هذا القصر كذلك بقصر الشعب.

صورة للقاعة الشرفية.

شيدت مختلف القصور في العهد العثماني ويقدر عددها في الجزائر العاصمة وحدها بحوالي ألف وخمسمائة قصر ومئة وتسعة عشر مسجدا، ليحولها المستعمر عند دخوله إلى الجزائر إلى ثكنات ومستشفيات وأماكن لإقامة المسؤولين العسكريين والإداريين الفرنسيين.

هذه القصور «قسمت إلى أقسام وأجنحة وكل جناح خاص بطابع معين: هناك جناح خاص بالدواوين، جناح خاص بالسلطان... وهذه القصور تعد بمثابة ملاحقة للدولة العثمانية، فهي نمط مصغر عن القصور الموجودة في اسطنبول»[1].

تحتفظ القصبة بالحمامات والأضرحة والعديد من الموروثات العثمانية والهندسة المعمارية ذات الطابع الإسلامي المتميز خاصة بوجود النجمة والهلال في القصور والمساجد والدواوين وحتى على الخزف وهناك العديد من القصور التي مازالت قائمة إلى اليوم ومنها، قصر مصطفى باشا، قصر عزيزة بنت السلطان، قصر دار الصوف، قصر الداي، قصر خداوج العمياء، وكلها متشابهة في البناء والزخرفة ووجود العديد من حنفيات الماء في أرجائها.

يروي الباحث الشاعر عمر شابي جزءا من قصة خداوج العمياء حيث يقول: «كانت خداوج تملك جمالا فائقا وكانت كل يوم ترى نفسها في المرايا وعددها سبع حتى فقدت بصرها وأصبحت عمياء وفي الحقيقة هي لم تكن تسكن ذلك القصر وإنما تم استجاره لها وعندما دخلت فرنسا عام 1830 حولته إلى مركز للإدارة»[2].

كل قصور القصبة تحمل حكايات جميلة حدثت داخلها وداخل بيوت عامتها، لكنها اندثرت وطمست معالمها مع مرور الزمن وانقضاء الحقبة الزمنية العثمانية، واستيلاء المستعمر الفرنسي على كل الأرشيف الخاص بالمنطقة، ولكن رغم كل ذلك ثم التعرف على أسماء بعض العائلات النبيلة التي سكنت تلك القصور.

[1]– خالد بورنان: المصدر السابق.

[2]– عمر شابي: المصدر نفسه.

اعتمد سكان القصبة بعد تلك الحقبة على الطابع العمراني العثماني نفسه حيث تتكون المنازل من طابقين أو ثلاثة طوابق وفوقها سطح كبير، يتوسط المنزل ساحة كبيرة تسمى الحوش أو وسط الدار.

تراجعت العمارة ذات الطابع العثماني إبان الاحتلال الفرنسي بسبب التجديد للمباني الذي أوجد أحياء جديدة على أنقاض المباني القديمة، وقد نتج عن ذلك تحف معمارية فريدة من شوارع ضيقة وأزقة متداخلة وسلالم وأدراج ما جعلها تشبه المتاهة.

لقد أعطى هذا الفيلم الوثائقي القصير وصفا عاما لهذه القصور، وبين مواقعها وأحداثا تاريخية خاصة ببعضها، كما قدم نبذة عن حياة الرفاهية التي كان يعيشها الناس في العهد العثماني من خلال بعض الصور التي عرضها.

صور داخل القصر

وبشكل عام عمل هذا الفيلم على تعريفنا بتراث شعبي عريق ممثل في العمارة التراثية الجزائرية التي بنيت بأيادي جزائرية إبان الحقبة العثمانية تحمل فكر الفرد الشعبي الجزائري وإبداع الحرفيين في مختلف المجالات (الخشب، الجبس، الرخام، البناء...) ولم يقتصر هذا العمل على حفظ وتوثيق الثقافة المادية فحسب بل وثق وحفظ ألوانا وأنواعا من الفنون الشعبية العريقة مثل الرسم والزخرفة والتلوين على المصنوعات الجبسية والخزفية والخشبية إضافة

إلى النقوش والكتابات على الخشب والرخام هذا إضافة إلى توثيق جزء من أدبنا الشعبي المتمثل في حكاية خداوج العمياء.

دون أن نغفل المعلومات التاريخية والجغرافية التي عرضها في خضم وصفه لهذه القصور. مدينة القصبة بمبانيها التراثية وقصورها العريقة مصنفة ضمن التراث المادي العالمي، وهي مازالت مدينة مأهولة بالناس وقصورها التراثية مستغلة حيث أصبحت مراكزا تعليمية وفنية ومسرحية وهو ما يبقيها تنبض بالحياة وتساهم في نشر الثقافة الشعبية والحضارة التي كانت شاهدة عليها.

الفيلم الثاني: المسكن في وادي ميزاب[1].

وجهتنا في هذا الفيلم هي الجنوب الجزائري وبالتحديد منطقة وادي ميزاب، وبني مزاب هي قبيلة عربية أصلها مختلط بين العرب الأقحاح والبربر، وهذه القبيلة تسكن الجزائر منذ مئات السنين.

«وكلمة مزاب محرفة من كلمة مصعب وسبب تحريف مصعب إلى مزاب أن البربر يحرفومن الصاد زايا في العربية كالصلاة مثلا التي يسميها بنو مزاب "تزاليت" فقالاو مصعب ثم مصاب ثم مزاب وميزاب، ومصعب هذا هو الولي الصالح ابن أحمد مصعاب أي مصعب.»[2].

«ويعتبر وادي المزاب مدينة محصنة أسست على واحة في واد عميق وضيق تتألف الآن من خمس مدن مسورة تقع داخل الصحراء ... أسماء المدن المحصنة في وادي ميزاب هي: غرداية، الملكية، بني يزقن، بونورة والعطوف»[3].

1- الفيلم الوثائقي، المسكن في وادي مزاب، إعداد، حمو بعلي واعمر، تعليق سارة شريف، إخراج، سليم عبد السلام.

2- عدنان إبراهيم:مرجع سابق، ص 01.

3- المرجع نفسه، ص 01.

وتحتل هذه المنطقة أهمية كبيرة وذلك راجع إلى تراثها العمراني المستمد من العمارة الإسلامية، فنجد العديد من الدراسات قد أجريت على هذه المنطقة وكذا العديد من الرحلات الميدانية التي قامت بتصوير هذه المنطقة وجمال تراثها العمراني.

والفيلم الوثائقي "السكن في وادي مزاب"، أحد العينات على مثل هذه الرحلات الاستكشافية، فقد صور لنا المباني المزابية وبين أن العمارة في وادي مزاب شكلت خاصية حضارية فريدة من نوعها، فالمتجول في قصور في وادي مزاب يندهش أمام الأشكال الهندسية والفن المعماري لكل قصر، حيث تتجلى فيه المعتقدات الإسلامية للفرد المزابي من خلال مجموعة من الأشكال والرموز فالمنازل ملتصقة ببعضها البعض، كما أن جميع البنايات لا تحتوي على أية شرفة استنادا إلى تعاليم مجلس العزابة الذي يعتبر الهيئة التشريعية للسكان، وما يزال معمولا بقرارته وتعليماته إلى حد اليوم.

صور داخل القصر

المنزل الواحد يحتوي على طابقين وسطح، فالمسكن يخضع في تخطيطه إلى المحيط الطبيعي ونمط الحياة في الصحراء، أما عن شكل البيوت، فهي تمتاز بالبساطة ويستعمل في بنائها مواد أولية كجذوع النخيل والجبس، يقول المهندس المعماري موسلمال أحمد «أهمية هذه الم[illegible]، وتحول هذه الح[illegible]

المواد الأولية للبناء

عند دخولك إلى أحد البيوت يلفت نظرك العتبة التي يبلغ طولها عشر سنتميترات والتي تعتبر الحد الفاصل بين الفضاء الداخلي والفضاء الخارجي وبنيت هذه العتبة لتحمي البيت من السيول والرمال والحشرات والزواحف، وكذلك الرياح الحارة، والباردة، إضافة إلى طول وعرض الباب الذي يمكن للدابة المحملة الدخول من خلاله ، وقد يكون الباب صغير الحجم للتقليل من الحرارة وقوة أشعتها الضوئية في فصل الصيف وكذا التخفيف من شدة البرد وقوة الرياح.

[1]– موسلمال أحمد: المصدر السابق.

صور للعتبة والأبواب

عندما دخول المنزل تجد رواقا يسمى السقيفة وتعتبر فضاء فاصلا بين الداخل والخارج وتحجب رؤية ما في الداخل من الخارج وهي أيضا مكان للانتظار لمن يطلب الدخول إلى البيت، وللسقيفة دور أساسي في نظام التهوية من خلال ولوج التيار الهوائي الذي يصل وسط الدار من خلال فتحة الشباك الذي يساعد في توفير المناخ الملائم خاصة في فصل الصيف.

صورة للسقيفة الميزابية

كما نجد عند دخولنا المنزل "وسط الدار" الذي هو عبارة عن فضاء رئيسي يكون واسعا حيث تحدث فيه جميع النشاطات المنزلية، هذا الفضاء يكون مضاء بواسطة فتحة تصل

الطابق الأرضي بالطابق الأول، وتحت الشباك تستحدث كوتان لتخترقهما أشعة الشمس نحو القاعة المخصصة للنسيج التي تسمى "تيزفرين" حيث تجتمع النسوة فيها ويركبن المنسج ويقمن بأعمال الحياكة متجهات نحو القبلة أو نحو المغرب للاستفادة أكثر من ضوء الشمس.

صور لـ "وسط الدار"

وفي أحد الزوايا يوجد مكان مخصص لغسل اليدين أو أوني الطعام أو الوضوء بواسطة الإبريق الذي ينصب فوق قاعدة صخرية قديمة.

مكان الغسل

كما نلاحظ أن وسط الدار بسيط خال من التزيين، كما تحوي جدارنه على مشاك مصنوعة من الجبس تضفي جمالا رغم بساطتها تستغل لتوضع فيها الزينة والأواني المنزلية.

المطبخ في المنزل المزابي يكون مفتوحا على أحد جوانب الدار، حيث لا تمل الجالسة أمام الموقد لأنها تكون على مرأى أهل البيت، ويكون فوق الموقد حوض صغيرا لوضع على الكبريت وأدوات المطبخ، وفي الجانب المقابل نجد غرفة النوم التي تكون خاصة بربة البيت.

صور للمطبخ

الأدراج المؤدية إلى الطابق الأول غالبا ما تكون من الناحية الشمالية من المسكن عن فتحة الشباك، حتى لا تحجب أشعة الشمس الساطعة، والطابق الأرضي يكون مخصصا لكبار السن أما الطابق الأول فيكون مخصصا للأولاد وهو مقسم إلى جزئين، الجزء الأول مسقف يسمى "إيكومار" والجزء الثاني مفتوح إلى السماء ويسمى "تيغرغرت" فبالنسبة للجزء المسقف نلاحظ أنه مفتوح نحو السطح بواسطة سلسلة من الأقواس متجهة نحو الجنوب الغربي وذلك حتى تدخل أشعة الشمس البيوت في فصل الشتاء، وهذا يحيلنا إلى التأثر بالتراث العمراني الإسلامي، ويظهر ذلك جليا من خلال الأبواب المقوسة، كما نجد أيضا مساحة تسمى "تامنيت" مخصصة لاجتماع العائلة لقضاء سهراتهم الليلية.

الجزء المفتوح من البيت (تيغرغرت)

الجزء المسقف من البيت (إيكومار)

سطح المنزل (تامنيت)

كما نجد هذه البيوت خالية من أي زخرفة عصرية، ويرجع وجودها إلى ثمانية قرون بقيت فيها شامخة متحدية ظروف المناخ الصعبة وفي هذا الصدد يقول بكلي عمر:«كان السكان يبنون للحاجة لا للبذخ، فالبناء في واد مزاب يتميز بالتوازن؛ حيث يتوازن النمط العمراني مع النمط المعيشي، تستعمل فيه مواد بسيطة للبناء منها النخلة وهي الأساس المعيشي في واد مزاب، إضافة إلى الحجر والجبس والرمل والتيشمت، هذه المواد أعطتنا منازل دامت قرونا وقرونا، يقوم ساكنوها بترميمها جيلا عن جيل، وكانت هذه البيوت تبنى عن طريق التويزة»[1].

كما نلمس تمسك أهالي منطقة بني مزاب بالطابع العمراني المتوارث عن آبائهم وأجدادهم، وعلى ضوء هذا يقول بكيز بن سعيد أعوشت في كتابه "واد مزاب في ظل الحضارة الإسلامية" «وعلى أية حال فالإنسان الذي يزور واد ميزاب أول مرة يلاحظ أن الإسلام قد ترك أثرا ولا يزال حتى ساعتنا هذه في الهندسة المعمارية الميزابية ... إن الدار هنا مبنية على أساس إسلامي... بيت للصلاة وبيت مستقل للضيوف»[2].

فالإنسان المزابي أخضع الطبيعة وأخذ من تراثه الإسلامي في تشكيل بيوت تحاكي واقعه المعاش.

ومن القواعد العامة للبناء والعمران التي يلتزم بها كافة السكان وفق القوانين والأعراف التي وضعها المجلس هي احترام الجار من ناحية علو البنايات والتي تتجمع هذه الأخيرة على شكل كتل متراصة أفقيا ورأسيا، كذلك من ناحية النوافذ والجدران كي لا تحجب أشعة الشمس عليه.

---

[1]- بكلي عمر: المصدر السابق.

[2]- بكير بن سعيد أوعوشت: واد ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا وتاريخيا، واجتماعيا، ط1، 2007، ص 26-27.

ومن هنا يمكن القول أن البيوت المزابية ما هي إلا منشآت معمارية حاكت عبقرية الفرد المزابي، الذي حور طبيعته وثقافته الإسلامية ليرسم لنا صورة معمارية فنية رائعة نلمس من خلالها تمسكه بتراثه وأصالته، ومن حيث ميزة هذه البيوت الجمالية التي تشعر الفرد بالراحة والسكينة نظرا لبساطتها وجمالها التراثي.

على ضوء ما سبق يظهر دور الفيلم الوثائقي بمساهمته في التعريف بحضارة تمتد جذورها منذ قرون وتاريخها عبر الزمن وما تعاقب عليها من حضارات تركت بصمتها من خلال هذه المباني التي كانت شاهدة على أفكارهم وتجاربهم وخبراتهم ونقلها للأجيال اللاحقة هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعتبر الفيلم الوثائقي محركا حيويا في نشر ثقافة الجزائر وتراثها والترويج للسياحة وجذب السياح والتعريف بحضارات تركت بصمتها من خلال المباني والآثار العمرانية.

خاتمة

بعد دراستنا لموضوع دور الفيلم الوثائقي القصير في حفظ التراث الشعبي الجزائري، وصلنا إلى مجموعة من النتائج المهمة و التي نوردها كما يلي:

-ظهور تقنيات حفظ التراث التكنولوجية وخاصة الفيلم الوثائقي القصير بطرق محتشمة ومتأخرة في الدول العربية ومنها الجزائر مما أدى إلى ضياع جزء كبير من تراثنا بذهاب حامليه.

-ساهم "الفيلم الوثائقي القصير" بشكل كبير في التعريف بالموروثات الشعبية المختلفة المادية واللامادية (المعنوية) وحفظها وتوثيقها حيث عرفتنا بالعديد من العادات والتقاليد المتنوعة والمختلفة .

-تصور يعض الأفلام حضور بعض العادات الدخيلة على المجتمع الجزائري، وهي عادات مستحدثة نتيجة الاطلاع على ثقافة الآخر والتأثر بها، كعادات و طقوس الأعراس.

- تصور الأفلام الوثائقية القصيرة في ميدان الفنون الشعبية والثقافة المادية رغم قلتها زخما فكريا وفنيا وإبداعيا هائلا تزخر به بلادنا منذ عصور قديمة، انطلاقا من الصناعات اليدوية والحرف التي تعكس خبرة الحرفيين والمبدعين الشعبين كالأواني الفخارية المختلفة والزرابي التقليدية و تقطير الورود والأعشاب، و الألبسة التقليدية.....

-سلط الفيلم الوثائقي القصير الضوء على جزء هام من التراث الشعبي الذي يعاني خطر الاندثار، كما بين ما تعانيه هذه الصناعات والحرف التقليدية من صعوبات ومشاكل جمة أثرت بشكل كبير في انتشارها على نطاق واسع.

- فيما يخص المباني الأثرية في بلادنا، فتح الفيلم الوثائقي القصير المجال للحديث عن أنواع كثيرة بنيت في حقب زمنية مختلفة، وبمواد متنوعة، كالمباني في مدينة ميزاب الذي

يكتسي طابعا خاصا لا يوجد في أي منطقة أخرى، ومواد البناء مازالت نفسها مستعملة إلى اليوم، هذا إضافة إلى الهندسة المعمارية الفريدة التي تتناسب وطبيعة المناطق الصحراوية.

-توثيق الفيلم الوثائقي القصير للتاريخ من خلال ما يحويه من رسومات ونقوش كقصور القصبة العتيقة التي تعود للحقبة العثمانية، و التي حملت طبوعا معمارية متعددة كما أظهر العديد من الجوانب المتعلقة بها مثل مواد البناء المستعملة المحلية منها والمستوردة، وبعض قصص العائلات التي سكنت تلك القصور، هذا إضافة إلى توثيقه للعديد من المعلومات التاريخية والتراثية التي تعد من صميم التراث الشعبي الجزائري.

-لعب الفيلم الوثائقي دورا بارزا في تعريفنا بجوانب عديدة من الأدب الشعبي الجزائري، وخاصة الأغنية الشعبية والحكاية الشعبية، هذان النوعان اللذان صورا مدى تحضر الفرد الجزائري بأخلاقه وأصالته، فالكلمات المعبرة بما تحمله من صدق وقيم ومبادئ وأخلاق عالية وراقية صالحة لكل زمان ومكان، يستمتع كل شخص بسماعها واستخلاص العبر منها، كما أنها تساهم في التنشئة الاجتماعية الصالحة.

-تعد الأفلام الوثائقية وسيلة فعالة وناجحة في اكتشاف وحفظ التراث الشعبي بمختلف أقسامه وميادينه، إضافة إلى توثيقه بمختلف جزئياته وتفاصيله، ذلك أنه يصور لنا الوقائع وينقل الحقيقة وطرائق الصنع والأدوات المستعملة، فهو من جهة يعرفنا بهذا التراث الشعبي، ومن جهة أخرى يوثق كل ما يخص الموضوع الذي يتحدث عنه، ليبقى حيا مستمرا تتوارثه الأجيال جيلا بعد جيل، مع نشره داخل وخارج الوطن خاصة من طرف الأفلام الوثائقية القصيرة المشاركة في التظاهرات والمهرجانات المحلية والدولية أو الأفلام التي تعرض على وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة.

من ناحية أخرى كشفت لنا هذه الدراسة العديد من الصعوبات والمشكلات في مجال الأفلام الوثائقية القصيرة في بلادنا، كما لاحظنا العديد من النقائص عند تحليلنا للأفلام محل الدراسة والتي تتمثل أبرزها فيما يلي:

1- قلة الأفلام الوثائقية القصيرة في الكثير من ميادين وموضوعات التراث الشعبي، وصعوبة الحصول على الأفلام المشاركة في التظاهرات الثقافية والمهرجانات المحلية والدولية.

2- الاعتماد على الروبورتاجات بشكل أكبر من الأفلام الوثائقية القصيرة في مجال التراث الشعبي، وذلك بإعطاء نظرة سطحية عادة وموجزة حول الموضوع.

3- نلاحظ على بعض الأفلام عدم التطرق إلى العادات والتقاليد بطريقة مرحلية منظمة مما يشكل صعوبة استيعابها عند المتلقي من أول مرة .

4- نقص في العديد من جوانب الموضوع الذي تعرضه بعض هذه الأفلام الوثائقية.

5- كثرة أفلام الهواة رغم مساهمتها في نشر الكثير من الأنواع التراثية الشعبية المغمورة، إلا أنها تفتقد للجانب المنهجي العلمي المدعم بالوثائق الحقيقية، أو آراء أفراد من الميدان، أو المعايشين للحدث أو العاملين في إحدى المجالات التراثية خاصة من كبار السن الذين يحملون من الموروثات الشعبية الكثير والذين نجدهم عادة في الأحياء الشعبية العريقة أو في القرى أو الجبال.

6- ندرة الأفلام الوثائقية القصيرة المتعلقة بالمعتقدات والمعارف الشعبية رغم وجود العديد من هذه المعتقدات والمعارف الشعبية في بلادنا.

وفي الختام نتمنى أن تولي المؤسسات الإعلامية والطبقة المثقفة الجزائرية مزيدا من الاهتمام بهذا النوع من الأفلام الوثائقية، لأنها تساهم بالفعل في اكتشاف وحفظ وتوثيق ونشر التراث الشعبي الجزائري والتعريف به داخل وخارج الوطن.

ولم لا؟ فيمكننا أن نحذو حذو الإعلام الغربي الذي اعتمد على هذه الوسيلة الهامة منذ سنوات عديدة، وحتى إعلام بعض الدول العربية التي طورت هذا المجال وجعلت منه مركز استقطاب وجذب للأجانب من مختلف الثقافات، وذلك من خلال تخصيص قنوات للأفلام الوثائقية المتعلقة بالمجالات العلمية، الثقافية، التراثية، الاقتصادية الطبيعية، هذه الأخيرة التي ساهمت في نقل الحضارة العربية بمختلف مكوناتها إلى الغرب وأدخلت حضارة الغرب إلى العرب.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: المصحف الشريف برواية ورش ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1988

أولا– المصادر:

1- الفيلم الوثائقي القصير "قصور القصبة، التراث الصامد":
https://youtube.com/watch?v=uKA38T-U6oU&si=g3xWpItJ38d_ibV

2- الفيلم الوثائقي القصير: أعراس عربية "العرس الشاوي
https://youtube.com/watch?v=hL5bWglygDY&si=zRFq_-pRevVapl_G

3- الفيلم الوثائقي القصير: اللباس المزابي،
الفيلمhttps://youtube.com/watch?v=zNzNtv4voKM&si=dy9zzG88kzOV4erw
الوثائقي القصير: صناعة الفخار والخزف في الجزائر
الفيلمhttps://youtube.com/watch?v=hL5bWglygDY&si=zRFq_-pRevVapl_G
الوثائقي: أعراس عربية العرس التارقي، الجزائر إدارة الإنتاج الجزيرة الوثائقية جمال
الدلالي.https://youtube.com/watch?

4- الفيلم الوثائقي: العرس العنابي، https://youtube.com/watch?v=4zvKapXCL-g&si=TmoNFOt1urdn

5- الفيلم الوثائقي: المسكن في وادي مزاب https://youtu.be/7vzFl4WKMKA?si

6- الفيلم الوثائقي: تقطير الورد والزهر مفخرة ولاية البليدة،
https://youtube.com/watch?v=XLxsh8uqoVs&si=dVQgc0jWzPKfUB_o

7- الفيلم الوثائقي: حكايات العابرين –فاطمة المعكرة–
https://youtube.com/watch?v=8DHNRnE6Edw&si=_dnbBMlDSYeq2-C1

8- الفيلم الوثائقي: حكاية "أفافا نيوفا"،.
https://youtube.com/watch?v=V_XGph3WDt8&si=hDEDxDkVyIXH7NNG

9- الفيلم الوثائقي: روائع زربية غرداية، إعداد كمال رمضان والزرقة أمين،
https://youtube.com/watch?v=FQa_8L7wt0k&si=7trxkf5MiNkNcHbY

10- الفيلم الوثائقي: صناعة الدوم حرفة تحاكي تاريخ الجزائر،
https://youtube.com/watch?v=58hE8gyvw5Q&si=1QLStZl_-idSP4ek

11- الفيلم الوثائقي: فيلم حكاية أغنية يا المنفي -الجزائر-
https://youtube.com/watch?v=ZezbgXeaQoI&si=BElo3TGoLUATi8Vm

ثانيا- المراجع:

أ/ باللغة العربية:

1- الأرقم محمد الكيلاني: مدخل إلى صناعة الأفلام الوثائقية، شركة مطابع السودان للعملة الموحدة، الخرطوم، 2009.

2- أكرم رافع نصر: الأغنية الشعبية في تراث جيل العرب، مشاركة إعداد فارس أبو الحسون وإخلاص ملاعب، منشورات موسوعة جبل العرب.

3- أنور وجدي: صفحات مضيئة من تراث الإسلام، دار الاعتصام، د.ط.

4- بكير بن سعيد أوعوشت: واد ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا وتاريخيا، واجتماعيا، ط1، 2007.

5- بوصلب عبد المجيد: بطاقة حصر مصنوعات الألياف النباتية والسعف، معارف ومهارات وممارسات اجتماعية، المركز الوطني للبحوث في عصر ما قبل التاريخ، وعلم الإنسان والتاريخ، 2022.

6- جان الكسان: السينما في الوطن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، الكويت، 1982.

7- جمال عليان: الحفاظ على التراث الثقافي، عالم المعرفة، مطابع السياسة الكويت، د. ط، 2005.

8- حسام الدين طاهر عبد المنعم: مع التراث، دكتوراه في الآداب، جامعة الإسكندرية.

9- حسن حنفي: التراث والتجديد -موقفنا من التراث القديم-، مؤسسة هنداوي سي أي سي، القاهرة، ط1، 1980.

10- خليفي جورج: الفيلم الوثائقي، مركز تطوير الإعلام، ط1، فلسطين، 2014.

11- رمضان الصباغ: في نقد الشعر العربي المعاصر -دراسة جمالية-، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2002.

12- سعيد المصري: إعادة إنتاج التراث الشعبي، الهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية، ط1، القاهرة، 2012.

13- سميرة خيشاني: مصادر المعلومات والتوثيق العلمي، منشورات الجامعة الافتراضية السورية، الجمهورية العربية السورية، 2020، د.ط.

14- سيد علي إسماعيل: أثر التراث العربي في المسرح المصري المعاصر، بمؤسسة هنداوي سي أي سي القاهرة، د.ط، 2017.

15- شوقي عبد الحكيم: الرجل والمرأة في التراث الشعبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ط، 2014.

16- عبد الحميد بورايو، تطور لباس المرأة الجزائرية، دار النشر الجزائر، ط1، 2007.

17- عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت -لبنان-، ط1، 1979.

18- علي شطّي: التراث الثقافي المادي وغير المادي لمدينة المغير، دار ومضة للشر والتوزيع والترجمة، جيجل، الجزائر.

19- فاروق خورشيد: الموروث الشعبي، دار الشروق، ط1، 1412 هـ / 1992م.

20- فاروق خورشيد: عالم الأدب الشعبي العجيب، دار الشروق الأولى، د ط ،القاهرة، 1991.

21- فوزي العنتيل: الفولكلور ما هو؟ مطابع دار المعارف، مصر، 1995.

22- كلود عبيد، الألوان، دورها، تصنيفها، مصدرها، رمزيتها، ودلالاتها، مراجعة وتقديم: محمد حمود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2013.

23- مجموعة من الباحثين: كيف نفكر وثائقيا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2014.

24- محمد أبراقن: ما هي السينما (السينما فن ولغة ووسيلة اتصال)، منشورات المبرق، ج1، الجزائر213.

25- محمد الجابري: التراث والحداثة -دراسات ومناقشات-، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، تموز/ يوليو 1991.

26- محمد المختار العرباوي: في جذور المسألة القومية، البربر عرب قدامى، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، المغرب، ط1، 1993.

27- محمد سعيد القشاط: التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، الطبعة الثانية، 1989.

28- محمد عابد الجابري: التراث والحداثة -دراسات ومناقشات-، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 5 يوليو 1991.

29- محمد عبد البديع السيد: التوثيق الإعلامي في العصر الحديث، نشر شخصي للمؤلف، ط1، سنة النشر د.ت.

30- محمود عِزَّت اللّحام: ماهر عودة الشمالية، مصطفى يوسف كافي: التوثيق الإعلامي، دار الإعصار العلمي، عمان، ط01، 2015.

31- محمود مفلح البكر: البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة، مديرية التراث الشعبي، د ط، دمشق، 2009.

32- مرسي الصباغ: دراسات في الثقافة الشعبية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2001.

33- مسعد بدر: الحكاية الشعبية في بادية سيناء، دار ميتابوك للطباعة والنشر، ط1، 2022.

34- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، مصر، 1974.

35- نصر محمد عباس: التوثيق الإعلامي، اكاديمية الدراسات العالمية، ط01، 2004.

ب/ المترجمة:

1- باتريشيا أوفدر هايدي: الفيلم الوثائقي "مقدمة قصيرة جدا"، ترجمة شيمياء الدريدي، دار النشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2013.

2- ماري تيريز جورنو: معجم المصطلحات السينمائية، ترجمة فائز بوشور، المؤسسة العامة للسينما، دمشق، 2013.

3- يوري سولوكوف: الفولكلور قضاياه وتاريخه، ترجمة حلمي الشعراوي وعبد الحميد حواس، مراجعة عبد الحميد يونس، مكتبة الدراسات الشعبية، ط2، القاهرة، 2000.

ج/المعاجم والموسوعات:

1- ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب بيروت، إعداد وتصنيف يوسف الخياط (مادة ورث) د.ط.ج 15.

2- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979.

3- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة، تحقيق أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، سنة الطبعة 1429هـ - 2008م.

4- محمد الكناني: موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني والعلمي والأدبي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ج01.

5- المنجد الأبجدي: تأليف دار المشرق، بيروت -لبنان-، ط5، 1967.

د/ المجلات:

1- مجلة آفاق سينمائية، مجلد 7، العدد 2، جامعة وهران، الجزائر، 2020.

2- مجلة الاتصال والصحافة، المجلد 9، العدد 01، 2022.

3- مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والثقافية، مجلد 14، العدد2، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 2022.

4- مجلة الأكاديمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع13، 2017.

5- مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حاج موسى أخموك تمنراست (الجزائر).

6- مجلة التراث والتصميم، مجلد4، العدد 19، فيفري، 2024.

7- مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 50، قسم علوم الإعلام، كلية الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، جوان 2017.

8- مجلة الثقافة الشعبية، المجلد 12، العدد 3146، يوليو تموز، 2019.

9- مجلة الحقيقة، مجلد 17، عدد3، مستغانم الجزائر، 2018.
10- مجلة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي علي كافي الجزائر، المجلد 04، العدد 04، جامعة قاصدي مرباح ورقلة –الجزائر–.
11- مجلة المدونة، المجلد 09، العدد01، ماي 2022.
12- مجلة تاريخ العلوم، العدد 9، 2017.
13- مجلة ضياء للدراسات القانونية، المجلة 04، العدد 01، 2022.
14- مجلة كلية الآداب، جامعة المستنصرية، العدد 98، القاهرة.
15- مجلة كلية التربية، جامعة بورسعيد، العدد 13، جانفي، 2013.
16- مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية واللغات، المجلد 20، العدد 57 (31 يناير/كانون الثاني 2018)، جامعة المنوفية كلية الآداب، القاهرة، مصر.

هـ/ المحاضرات والبحوث والرسائل الجامعية والوثائق الرسمية:

1- ليلى فرشة: مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة النسبة الثانية إعلام في مقياس فنيات التحرير في الصحافة المكتوبة، جامعة الأمير عبد القدر للعلوم الإسلامية، 2022، 2023.
2- شريفة طيان، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 1990، 1991.
3- منظمة الأمم المتحدة للربية والعلوم والثقافة: التراث الثقافي غير المادي (النصوص الأساسية)، اتفاقية عام 2003، طبعت في اليونيسكو، فرنسا، 2018.

و/ أعمال الملتقيات والأيام الدراسية:

1- مليكة قماط: أعمال اليوم الدراسي الحادي عشر حول نظام التوثيق وفق جمعية علم النفس الأمريكية APA، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو 2017.

ز/ المراجع الأجنبية:

1- INTERNATIONAL JOURNAL OF MULTIDISCIPLINARY STUDIES IN HERITAGE RESEARC , VOLUME 4, ISSUE 1, EGYPT, 2021.

ح/ المواقع والكتب الإلكترونية:

1. https://www.google.com/url?sa=t&source=web&rct=j&opi=89978449&url=http://dspace.mediu.edu.my:8181/jspui/bitstream/123456789/13597/1/%25D9%2585%25D9%2581%25D9%2587%25D9%2588%25D9%2585%2520%25D8%25A7%25D9%2584%25D8%25AA%25D8%25AD%25D9%2582%25D9%258A%25D9%2582%2520%25D9%2588%25D8%25A7%25D9%2584%25D8%25AA%25D9%2588%25D8%25AB%25D9%258A%25D9%2582%25201.docx&ved=2ahUKEwiZioW2k6yIAxWlR6QEHXaGB3kQFnoECBIQAQ&usg=AOvVaw2EJuGie122oYlBeSqwNJgH
2. http://www.ahewar.org
3. http;//doc.aljaweera.net>Follow-up
4. https//elayamnews.dz
5. https://dn790009.ca.archive.org/0/items/20200815_20200815_2122/ الادارسة أول من بنى قصور بني مصعب (بني مزاب) مقارنة جينية.pdf
6. https://download1507.mediafire.com/jwfitp4tvbjgjyLEicjTPUlaKdaTj8ZZOMsOBjwLjQpilWYvLxXCR8snwELjC6GdoPqukSbtQp1bsIuBjI6UrP6hVdcUXQFWhh_j6I3NlNq5T62y2QwsUIPa8cNOVoHzr--2ohY85-vMii_HnUdwBbGl_nsV6U68vcp42i78YnueFfTR/do62c19xs6u9bvm/documentary-film_luay-zuaby.pdf
7. https://institute.aljazeera.net/sites/default/files/2020/ الفيلم الوثائقي القصير.pdf?title=الفيلم الوثائقي القصير للمنصات الرقمية
8. https://pedia.svuonline.org/pluginfile.php/2968/mod_resource/content/43/DO757.pdf
9. https://tg.tanta.edu.eg/admin-cp/uploads/ورش 1538694366- الانتحال العلمي /العمل.pdf
10. https://www.filedownload.click/files/كتاب-دورة-في-كتاب-2-أساسيات-البحوث-العلمية.pdf

11. https://www.noor-book.com/book/internal_download/2883dedd7bc07b803816b672a25a0f9ed6262149/3/b8973b5c7914fef9947ea61e16ab734d
12. www.alkalima.net>Red
13. https://afyan.com
14. http://www.aps.dz>culture
15. arm.wikipedia.com
16. hppt://www.djlfa.info
17. https://e3arabi.com
18. https://pomed.01g
19. https://www.aa.com.tr
20. https://www.joumhouria.com
21. www.wordpress.com
22. https://tamzgha
23. www.almaany.com
24. www.arabicmagazine.net>ar
25. www.mawdo3.com
26. www.moqatel.com

الملاحق

ملحق البطاقات الفنية الخاصة بالأفلام الوثائقية القصيرة:

البطاقة الفنية لفيلم: صناعة الدوم حرفة تحاكي تاريخ الجزائر

إعداد: حمزة زروقي، زينب أباريسان

تركيب: عبد الرحيم عبدوش.

إنتاج: قناة النهار TV

-الجزائر 2020-

المشاركون في هذا الفيلم:

محمد شيكر: حرفي في صناعة الدوم وبائع لهذه المصنوعات.

محمد وأحمد: حرفيان مختصان في صناعة قفة الدوم.

رشيد سمار: مختص في صناعة الأثاث بالخيزران

مدة الفيلم: 15 دقيقة و57 ثانية

البطاقة الفنية لفيلم: قصور القصبة.. التراث الصامد

إنتاج: قناة النهار TV

-الجزائر 2020-

المشاركون في هذا الفيلم:

شيخ المحروسة: باحث في تراث الجزائر.

عمر شابي: شاعر وباحث في تراث القصبة.

أغيلاس مصادي: مكلف بالأرشيف بالمسرح الوطني الجزائري.

خالد يورنان: طالب متخصص في الدراسات العثمانية جامعة الجزائر 2.

مدة الفيلم: 14 دقيقة و44 ثانية.

البطاقة الفنية لفيلم: صناعة الفخار والخزف في الجزائر

إعداد وإخراج: محمد أوجدوب

الصورة: محمد بوليس رضا، والي نبيل بوناب، عصام نساخ

الصوت: ياسين خندريش صالح حيرش، يزيد سرحان

الإضاءة: كريمو بن عمران، عبد الرحمن جوادي، أحمد دراوي

عبد المؤمن سويعد

التركيب: عبد الحفيظ بوجمعة

كتابة التعليق: محمد أوجدوب

قراءة التعليق: عبد النور شلوش

الدبلةجة: توفيق عليلي.

الموسيقى التصورية: حسان عكروم.

مدير الإنتاج: حسينة رزيق

أعمال ما بعد الإنتاج: محمد حرابي، سعيد ندواري، محمد بريود، توفيق عكروم

إنتاج: التلفزيون الجزائري، مديرية الإنتاج للبرامج الدائمة الجزائر، جوان 2001.

الأشخاص والهيئات المشاركة في هذا العمل:

- المتحف الوطني للآثار القديمة.
- متحف بارود.
- المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ.
- الوكالة الوطنية للآثار القديمة.
- ديوان رياض الفتح
- ورشة الخزف تيرا ورشة الخزف والفخار بومهدي.

- مركز الأرشيف للتلفزيون الجزائري

المخرج:

- أحمد العلاء
- سعاد صحراوي.

مدة الفيلم: 26 دقيقة و36 ثانية.

البطاقة الفنية لفيلم: أعراس عربية "العرس الشاوي"

مدير الإنتاج: خليل براهيمي.

بحث وإعداد: يونس بورنان.

تدقيق لغوي: صلاح بوديلمي.

فكسر: زكرياء سلوم.

مساعدي الإنتاج: حمزة براهيمي، علي والي.

تصوير: نسيم أكتوف، عبد الغفور دخان، يوسف عبة.

مهند الصوت: وليد بن يحي.

تقني الصوت: عبد الله بكير.

مونتاج وتلوين: عبد المنعم بركاتي

موسيقى تصويرية: عبد الرحمن بوحبيلة.

سيناريو وإخراج: محمد والي.

إدارة الإنتاج: الجزيرة الوثائقية، مهدي بكار

السائق: عمروش صالح.

شكر خاص لـ: بوعزة حمزة

المنتج المنفذ: Med.dz– قناة الجزيرة الوثائقية -2019-

المشاركون في هذا الفيلم:

- **حميد بن سي عمر:** من أعيان منطقة غوفي.
- **نصيرة منصوري،** أم العروس.
- **عادل طبنة:** متعهد حفلات.

مدة الفيلم: 27 دقيقة.

البطاقة الفنية لفيلم: اللباس المزابي:

فكرة وإخراج: أنيس الهيشر.

قراءة التعليق: سعد وردان.

هندسة صوتية: خضير بوصوفة.

الإضاءة: جابر بوسنان.

التصوير: نبيل بن زكري.

منتج منفذ: مركز الخدمات الإعلامية بالكوم.

المونتاج: بن زكري قاسم

-الجزائر 2015-

البحث التاريخي: الأستاذ: حوش مصطفى – الحاج سعيد محمد.

المشاركون في هذا الفيلم:

- **أبو بكر صالح:** أستاذ بجامعة غرداية.
- **محمد كمل عينو:** باحث في التراث.
- **الحاج سليمان بكاي:** مهتم بتراث منطقة ميزاب.

مدة الفيلم: 32 دقيقة و51 ثانية.

البطاقة الفنية لفيلم "حكاية أغنية يا المنفي الجزائر

المنتج المنفذ: شاكر بوعجيلة.

الأرشيف: ALAMY, AP, INA

مدير التصوير: بسام عون الله

تصوير: أشرف عباس.

مدير الإنتاج: عيواز شهرزاد.

عمل صحفي: عبد الرحيم بونمري

هندسة الصوت: أشرف عباس

جرافيك: أحمد الكراي.

مونتاج: محمد جلايلية.

تصحيح ألوان:إيدير بن سلامة

ميكساج: Play Prod

إدارةالإنتاج: جمال الدلالي.

إشراف تحريري: مهدي بكار.

إخراج: بلال المازني.

منتج منفذ: إنتاج الجزيرة الوثائقية 2022.

مدة الفيلم: 13 دقيقة 30 ثانية

المشاركون في الفيلم:

- سليم دادة: باحث ومؤلف موسيقي.
- علي الشريف المقراني: أحد أحفاد الشيخ المقراني.
- شيخ المحروصة: مؤلف وباحث في التراث الشعبي.
- سيد علي عالية: فنان شعبي جزائري.

البطاقة الفنية لفيلم "حكاية أفافا ينوفا"

مدير الإنتاج: درويش البوطي

بحث وإعداد: خالد الدعوم، يونس بورنان.

متابعات مالية: عمر الخطيب.

متابعات أرشيفية: صابرين أبو حلمبو

ترجمة: جعفر خلوفي.

مدير إنتاج ميداني: سيد علي براهيمي.

مساعد الإنتاج: حمزة براهيمي، منير بوعافية

فكسر: يزيد عرب

مدير التصوير: تسيم أكتوف

تصوير: عبد الغفور دخان، أسامة بن عيسى.

مهندس الصوت: عبد الله بكير.

جرافيكس: محمد رايق، يوسف حسن.

مونتاج: عبد المنعم بركاتي.

إدارة الإنتاج: الجزيرة الوثائقية، جمال الدلالي

إشراف تحرير: الجزيرة الوثائقية، محمد بلحاج

سيناريو وإخراج: محمد والي.

منتج منفذ: طيف للإنتاج الفني عمان، الأردن الجزيرة الوثائقية 2019.

مدة الفيلم :13 دقيقة و34 ثانية

المشاركون في الفيلم:

- لاكروت غنيمة: حرفية نسيج
- محمد بن حمدوش كاتب كلمات أغنية "أفافا ينوفا".

البطاقة الفنية: لفيلم "حكايات العابرين فاطمة المعكرة

سيناريو وإخراج: محمد والي.

مساعد المخرج: زهران نذير لوناوسي

بحث وإعداد: أمينة سماتي.

مدير الإنتاج: سيد علي براهيمي

ريجيسير: حمزة براهيمي.

مدير التصوير: جابر ذياب.

تصوير: عبد المنعم بركاتي، سهيل مري

صوت: طاهر شنوف

ميكساج: بلال ضويو

مونتاج: ذياب محمد الجابري.

موسيقى تصويرية: عبد الرحمن بوحبيلة.

رسوم: نسيم عجولي

تحريك: محمد رايق.

منتج منفذ: media.dz

الجزيرة الوثائقية 2018.

مدة الفيلم: 12 دقيقة و38 ثانية

البطاقة الفنية لفيلم: تقطير الورد والزهر مفخرة مدينة البليدة

إعداد وتعليق: رباب العيش.

المونتاج: فاتح بودلاعة، سفيان نكروف، عبد النور بن زيان.

مدير الإنتاج: يوسف جمالي.

رئيس الوحدة: جميل عربيد.

السائق: بن عاشور فال الخير.

الصوت: نور الدين بن شهرة، مهدي بوليسة.

الإضاءة: عبد المؤمن سويعد.

إنتاج: التلفزة الجزائرية الثالثة، قسم الإنتاج، 2018.

المشاركون في هذا الفيلم:

- يوسف أوراغي: باحث في تراث ميدنة البليدة.
- حياة الصغير: رئيسة جمعية الوئام والعمل.
- قاسم إسماعيل: فلاح وحرفي مختص في استخراج الزيوت العطرية.

مدة الفيلم: 20 دقيقة و59 ثانية

البطاقة الفنية لفيلم "المسكن في وادي مزاب

مدير الإنتاج: سليم عبد السلام

إعداد: حمو بعلي واعمر

صورة: سليم عبد السلام

صوت: ياسين

مكساج: مالكي نور الدين

أنفوغرافيا: مالكي رابح

المنتج المنفذ: Guerion Film production

تعليق: سارة شريف

تركيب: مالكي رابح

إخراج: سليم عبد السلام

ديوان ترقية وادي مزاب وحمايته، 32 شارع فلسطين، غرداية، الجزائر.

المشاركون في الفيلم:

- بكلي عمر: مهتم بالتراث الثقافي.
- موسلمال أحمد: مهندس معماري

مدة الفيلم: (ج1) 13 د- (ج2) 12د

البطاقة الفنية للفيلم الوثائقي "روائع زربية غرداية

إعداد: كمال رمضان، الزرقة أمين.

إشراف، يحي بن الناصر

تصوير: عبد العزيز الحاج داود، عبد النور عبد النور، سليمان حمرزي، محمد سعيد بن بلال.

غرافيك ومونتاج: الزرقة أمين، حواش إبراهيم.

هندسة الصوت: كمال حمادة.

تعليق: أمين أسقيقب.

مخابر الإنتاج: صالح قارة عمر

مساعد إنتاج: حواش إبراهيم.

الإشراف العام: يونس بابا نجار.

إخراج: بن بلال محمد سعيد.

منتج منفذ: 2018 art vision

مدة الفيلم: 26دقيقة و17 ثا نية

المشاركون في الفيلم:

- نجار حسين: تاجر زرابي.
- الحاج سعيد محمد: رئيس جمعية
- ودان سعودة: حرفية
- الزرقة محمد: موال
- عوف نور الدين: مدير مغزلة الواحات.
- علواني عالاوي: مخترع المنسج الحديث
- بوبكر الصديق دقاقرة: مدير غرفة الدمغ
- بن زيطة زينب: حرفية.
- يونس بابا نجار: مدير ديوان وادي مزاب وترقيته.

البطاقة الفنية للعرس العنابي:

إعداد وتقديم: مصطفى تدريست

قراءة: جميلة معيزي

تصوير: منير إبراهيم، يوسف زياني، ريمة توهامي

تركيب: عز الدين كردي

إضاءة: فيصل تبراني

إخراج: عز الدين كردي

إنتاج: الشروق TV 2014.

مدة الفيلم 35: دقيقة19 ثانية

البطاقة الفنية لفيلم "أعراس عربية، العرس التارقي، الجزائر

بحث وإعداد: يونس بورنان

ترجمة: سنوسي كارزيكا

مدير الإنتاج: خليل براهيمي

مساعدا إنتاج: حمزة براهيمي وعادل جغدالي

السائق: صالح بلي

مديرالتصوير: نسيم أكتوف

تصوير: عبد الغفور دخان، عبد الله بكير

تصويرجوي: معتز بالله زغمار

مهندس الصوت: نزيه عيسات

موسيقى تصويرية: عبد الرحمن بوحبيلة

منتج منفذ: Media.dz

إدارة الإنتاج: الجزيرة الوثائقية، جمال الدلالي

إشراف تحريري: الجزيرة الوثائقية، مهدي بكار.

سيناريو وإخراج: محمد والي

الجزيرة الوثائقية 2019.

مدة الفيلم: 25 دقيقة و25 ثانية

المشاركون في الفيلم:

- السنوسي كرزيعة: باحث في علم الاجتماع الثقافي والتاريخي.
- أحمد بلي: ضيف أهل العروس.
- عائشة عزالي: وزيرة العروس
- لوميدي أميتة: ضيفة أهل العروس
- الزهرة حكال: قائدة فرقة التيندي الموسيقية والغنائية..
- ابراهيم لوميدي : أحد وزراء العريس.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة: .....أ

مدخل

التراث: مقاربة مفهوماتية

تقديم: 7
أولا: مفهوم التراث:..... 7
أ/ لغة: 7
التراث في القرآن الكريم: 8
ب/ اصطلاحا:..... 9
ثانيا- أنواع التراث:..... 18
1-التراث الشعبي: 18
2-التراث الطبيعي:..... 19
3-التراث الأدبي:..... 20
4- التراث الديني:..... 21
ثالثا- أهمية التراث:..... 22
رابعا- أقسام التراث الشعبي: 24
1-المعتقدات والمعارف الشعبية:..... 26
2- العادات والتقاليد الشعبية:..... 28
3-الأدب الشعبي وفنون المحاكاة:..... 28
4-الفنون الشعبية والثقافة المادية: 30

الفصل الأول

التوثيق والفيلم الوثائقي

أولا: التوثيق والفيلم الوثائقي تحديدات اصطلاحية:..... 33
1-تعريف التوثيق: 33

أ/ لغة: 33
ب/ اصطلاحا:..... 35
2-أهمية التوثيق: 41
3-التوثيق الإعلامي: 44
3-1-مفهوم التوثيق الإعلامي:..... 44
3-2-أنواع التوثيق الإعلامي:..... 45
أ/ الفيلم: 46
ب /الروبرتاج:..... 47
ثانيا- الفيلم الوثائقي..... 50
تمهيد: 50
1-نشأة الفيلم الوثائقي: 51
2-تعريف الفيلم الوثائقي: 55
2-1-تعريف الفيلم الوثائقي من طرف المنظمات والهيئات العالمية:..... 56
2-2-تعريف الفيلم الوثائقي عند الكتاب والمخرجين السينمائيين الغربيين: 57
2-3-تعريف الفيلم الوثائقي عن الكتاب والمخرجين السينمائيين العرب:..... 60
3-الفيلم الوثائقي القصير "تسمية القصير والمدة النموذجية":..... 63
4-خصائص الفيلم الوثائقي: 64
5- أنواع الأفلام الوثائقية:..... 67
5-1-الأفلام الثقافية: 67
5-2-الأفلام الوثائقية السياحية:..... 67
5-3- أفلام التوعية والإرشاد: 67
5-4-أفلام الفن: 68
5-5-أفلام السيرة الذاتية: 68
5-6-أفلام الطبيعة: 68
5-7- الأفلام العلمية: 68

5-8- أفلام الرحلات والاستكشاف: 69
5-9- الفيلم الإثنوغرافي: 69
5-10- فيلم التراث: 70
مميزات فيلم التراث: 71
6- الفيلم الوثائقي القصير والتكنولوجيا الرقمية: 72
6-1-الفيلم الوثائقي القصير للمنصات الرقمية: 72
6-2-خصائص الفيلم الوثائقي القصير للمنصات الرقمية 74
أ/ الفعالية: 74
ب/ الاختصار: 74
ج/ سهولة الإنتاج: 74
د/التفاعل: 75
6-3-المنصات الرقمية الملائمة لعرض الفيلم الوثائقي الرقمي القصير: 75
أ/منصة فايسبوك: 75
ب/ موقع يوتيوب: 75
ج/منصة تويتر: 76
د/ أنستغرام: 76
7-أهمية الأفلام الوثائقية: 77
8-وظائف الفيلم الوثائقي: 81
8-1- الوظيفة الإعلامية: 81
8-2-الوظيفة التعليمية: 82
8-3-التوثيق والتأريخ: 82
8-4-التقصي والتحري: 83
8-5- التسويق الاجتماعي والسياسي والاقتصادي: 83

الفصل الثاني
دور الفيلم الوثائقي القصير
في حفظ التراث الشعبي الجزائري

أولا– العادات والتقاليد الشعبية: 86
1-عادات وتقاليد الزواج (الأعراس): 86
الفيلم الأول: أعراس عربية "العرس الشاوي" 86
الفيلم الثاني: أعراس عربية العرس التارقي–الجزائر 97
الفيلم الثالث: العرس العنابي 106
ثانيا- الأدب الشعبي وفنون المحاكاة: 114
1-الحكاية الشعبية: 114
الفيلم الوثائقي: حكايات العابرين -فاطمة المعكرة- الجزائر 114
2-الأغنية الشعبية: 117
الفيلم الأول: "حكاية أغنية أفافا ينوفا" 118
الفيلم الثاني: "فيلم حكاية أغنية يا المنفي – الجزائر-" 124
ثالثا-الفنون الشعبية والثقافة المادية: 130
1- الحرف والصناعات التقليدية: 130
الفيلم الأول: صناعة الفخار والخزف في الجزائر 130
1-أنواع الفخار في الجزائر ومميزات كل نوع: 134
2-صناعة الفخار في العصر الحديث: 138
الفيلم الثاني: تقطير الورد والزهر مفخرة ولاية البليدة 141
الفيلم الثالث: روائع زربية غرداية 145
الفيلم الرابع: صناعة الدوم... حرفة تحاكي تاريخ الجزائر 154
2-الأزياء: 159
فيلم اللباس المزابي 159
أنواع اللباس المزابي الرجالي: 162

3-المباني الأثرية:..... 169
الفيلم الأول: قصور القصبة ... التراث الصامد:..... 169
1-قصر أحمد باشا: 170
2-قصور حسن باشا:..... 172
الفيلم الثاني: المسكن في وادي ميزاب 175
خاتمة 184
قائمة المصادر والمراجع..... 190
الملاحق..... 200
فهرس المحتويات..... 213